الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة د.الطاهر مولاي . سعيدة

كلية الأداب واللغات والفنون

قسم اللغة العربية

تخصص:ليسانيات عامة

مذكرة لنيل شهادة الليسانس

بعنـــــــوان

النزعة التأملية عند جبران خليل جبران أبو القاسم الشابي دراسة مقارنة

إعداد الطالبتين:

- عماري فاطمة الزهراء
- شارف دليلة

تحت إشراف الأستاذ:

تامي مجاهد

السنة الجامعية: 2017/2016

كلمة شكر

شكر الله عز وجل الذي مهد لنا طرق النجاح ونحمده راجين منه العفو والمغفرة.

ثم الصلاة والسلام على أشرف المرسلين

نعترف بالجميل ونتقدم بالشكر الجزيل لكل أساتذتنا الكرام الدين رافقونا طيلة مشوارنا الدراسي.

ونخص بالشكر الأستاذ المشرف تامي مجاهد الذي قدم لنا يد المساعدة ولم يبخل علينا يوما بنصائحه وإرشاداته القيمة الذي رافق العمل وأحاطه الاهتمام وأشرف على كل كبيرة وصغيرة بحسن توجيهه وجميل صبره معنا فجزاه الله خيراً

كما نشكر كل من قدم لنا يد العون من بعيد أو قريب.

إهداء

إلى أنقى،أصفى مخلوق في الوجود.....

من كانت أول اسم نطق به اللسان وأحسّن به الوجدان....

إلى من أحاطتني بالأمان وأطلقت لي العنان في رضا الرحمان.....

وسهرت لأجلي الليل والنهار وعلمتني معاني الحب والوقار ، لن أنسى لها هذا العرفان مدى الزمان إلى أمي خلفاوية عماري منبع الحنان.

إلى شمس المستقبل صاحب الاحترام والجلال صاحب الاسم الجبار المليء بالرضا والعفوان والمسند الركيزة لجميع الأيام...إلى أبي العزيز قادة عماري.

إلى إخوتي حبيب ، سلمى، نصر الدين الذين قاسيت معهم الحياة مرها وحلوها .

إلى صديقاتي: دليلة ، أم الخير ، خيرة ، هوارية الكنزة، أمينة ، شيماء وإلى كل من لم أذكره في مذكراتي ولن أنساه في ذاكرتي.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي.

فاطمة

إهداء

إلى الصامت لابس ثوب المحبة ، على من حرج الكأس فارغاً ليسقيني قطرة حب لنا من كانت أتأمله ليصنع لنا لحظة السعادة إلى من حصد الأشواك عن دربي لتمهد طريق العلم إلى القلب الكبير ، وإلى الذي التفاني بذرة وسقاني نبتة ورعاني شجيرة وإلى الذي أبكى القلب دما قبل أن يبكي دمعاً

أبي العزيز .

إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب وأغلى معنى الحنان والتفاني إلى بسمة الحياة وسر الوجود ،

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وبلسم جراحي أغلى الحبايب أمي الحبيبة.

إلى من قاسموني حياتي في سكناتها وحركتها أفراحها وحزنها الدين أتمنى لهم سعادتهم حتى ولو على حسابي أشقائي عادل ومختار وشقيقاتي فاطمة وشهرة وإلى الكتكوته هبة حفظها الله كما لا أنسى بالذكر خالتي الغالية التي أكن لها مشاعر المحبة وإلى من جمعني بهم الزمان واستقر بهم المقام: أم الخير ، فاطمة وهوارية وكنزة ، شيماء ، صبرية ،وإلى عزيزة قلبي خيرة .

وإلى من قيل فنعيم:

قم للمعلم وفيه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولاً

على جميع أساتذتنا الأفاضل جميع الأطوار حفظهم الله .

وإلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي.

دليلة

خطة البحث

مقدمة .

المدخل.

الفصل الأول: الشعر المهجري .

المبحث الأول:الشعر المهجري المفهوم والنشأة.

المطلب الأول: مفهوم الشعر المهجري.

المطلب الثاني: نشأة الشعر المهجري.

المبحث الثاني: أهم رواد الشعر المهجري وخصائصه.

المطلب الأول: واقع شعراء المهجر.

المطلب الثاني: خصائص الشعر المهجري.

المبحث الثالث:أهم مدارس الشعر المهجري.

المطلب الأول: مدرسة الرابطة القلمية.

المطلب الثاني: مدرسة العصبة الأندلسية.

الفصل الثاني: النزعة التأملية عند جبران والشابي دراسة مقارنة .

المبحث الأول: النزعة التأملية.

المطلب الأول: مفهوم التفكير التأملي.

المطلب الثاني: المدلول اللغوي والاصطلاحي للتأمل.

المبحث الثاني: النزعة التأملية عند جبران والشابي.

المطلب الأول: دراسة نموذج "قصيدة المواكب".

المطلب الثاني: دراسة نموذج "أغاني التائه".

المطلب الثالث: دراسة مقارنة بين جبران والشابي.

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع.

قائمة الملاحق.

مقدمة:

شاءت الأقدار أن يهاجر فريق من أبناء العرب من أوطانهم إلى العالم الجديد وأن يقيموا في إحدى دول أمريكا الجنوبية والشمالية وفي هذه الديار ترعرع أبو الأدب المهجري "أمين الريحاني" وعميد أدباء المهجر "جبران خليل جبران".

وقد سمي الأدب الذي عني به هؤلاء المهاجرون في هذه الأرض البعيدة بالأدب المهجري، فهو أدب حديث النشأة ولد مع القرن العشرين ونما وترعرع حتى اليوم، ومن أعلامه "أمين الريحاني"، "جبران خليل جبران" وسواهم ممن نطق أدبهم باسمهم وعبر عن مشاعرهم، وصور عواطفهم ووصف غربتهم وحنينهم للبلاد التي أقاموا فيها، وقد أقاموا في المهجر مدارس أدبية وشعرية حملت راية التجديد ودعن إليه من بينها الرابطة القلمية التي نشأت في "نيويورك" على يد عبد المسيح حداد سنة 1920 م بالمهجر الجنوبي الشمالي، والعصبة الأندلسية التي ألفت عام 1922م على يد "ميشال المعلوف" بالمهجر الجنوبي و الأدب المهجري أدب واقعي في أكثره، يتجاوب مع الحياة والحضارة، وتبدو في أكثر أثاره صفة التركيز، ولقد تجاوب مع الحركة الابتداعية في الشعر العربي الحديث التي مهد لها "مطران" والصوفية الـ بر بها أدب جبران قد انتهت الآن من الأدب المهجري، وهو ، مشغول بالحياة من جميع مقوماتها متفاعل معها غاية التفاعل وجدانيا وفكريا بصورة إيجابية، ولقد عرف أدباء المهجر كيف يستوعبون الروح الأمريكي بجميع خصائصه البديعة.

ولقد تأثر بالأدب المهجري كثير من الشعراء في العالم العربي منهم "الشابي"، والذي استطارت شهرته في الشرق فأصبح عنوانا على مدرسة كبرى في الأدب قلدها الكثير من الشباب وجروا في ركبها، ولا شك أن الأدب المهجري قد أفاد الأدب العربي وضوح أثر وقوة تجديد، والشعر الهجري لم يقطع صلته بالشرق أو العروبة أو الإسلام، فجميعا مؤثرة عليه من النواحي الروحية لأن تفكير الشاعر المهاجر عامة تفكير مزدوج فشطر منه يخص مهجره والشطر الآخر يخص وطنه الأصلي وهو يوحد بينهما، فمن جهة تراه يستوعب مسائل محيطه الراقي ويتفاعل معها تفاعلا واقعيا وعاطفيا معا، من جهة أخرى نراه على البعد لا يكتفي بحنينه الجياش إلى وطنه الأصلي، بل يسهم في معالجة مشاكل ذلك الزمن وقد يكون على

البعد المكافح الرائد وحامل علم الثورة، وهذا ما جعلهم ينظمون الكثير من الأشعار، بحيث سادت النزعة المزية في أشعارهم، وقد تجلت هذه النزعة خاصة عند "جبران خليل جبران".

فقد كان لهؤلاء الشعراء بركة على الأب المهجري بعد عهد طويل من الجمود فقد دفعوا في شرايينه الدم الحار، فإذا هو اليوم مدين بكثير من العناصر جدته ونظارته إلى تلك الفئة النازحة التي شادت تلك الربوع العصية، وقد كان الشعر حيز كبير في الحياة الأدبية في المهجر.

وهكذا أخرج الأدب المهجري من رحم المعاناة مبشرا بعصر الخصوبة معليا صرحا جديد من الأدب الخلاق المتميز يصدق الشعور ونزعة التجديد والغيرة على حاضر الأمة ومستقبلها متزودا من الثقافة العربية الأصيلة و الغربية البناءة مستفيدا من أرض ترعرع فيها هي أمريكا الشمالية والجنوبية، وكان له أثر كبير في ازدهار الأدب العربي، وساهم في توجيهه نحو تيارات جديدة وإدخال أنواع أدبية في الأدب العربي وأصبح له فردية وشخصانية بفضل أدب المهجر.

وقد كان للأدب المهجري ثورة تجديدية ضخمة من خلال الأثر البالغ الذي أحدثته في حياة الآداب العربية وتمكن من النمو و الازدهار، فالمهاجرون العرب عاشوا في غربة جد إلا أنهم تكيفوا مع حياتهم الفكرية المعاشة في بيئتهم الجديدة، وقد ترأس الأدب المهجري رواد قادوا هذه النزعة الفكرية الجديدة، منددين بالدعوة للحرية بالثورة على الاستبداد وكتبوا عن الحرية في العديد من المقالات والبحوث والكتب.

فهكذا كانت حركة التجديد إذا حركة رومانسية امتلأت بالأنين والشكوى واختلطت بالنزاعات التأملية والإنسانية واشتملت على شكل من أشكال الرمزية البسيطة التي تعتمد على التلميح والإيحاء، وكان شعرهم شعر الحب واللهفة والإحساس بالضياع والتأمل العميق لمظاهر الكون.

وعليه فقد كان اختيارنا لهذا الموضوع نابع من رغبة جامعة لإبراز أهمية ودور العملية التأملية في الوصول إلى حقيقة الأشياء بطرق تفتح للخيال مجال رحب للقيام بدوره في رسم صور رائعة ومعبرة نابعة من ذات فنان صعب عليه أن يراها أو يصنعها في الواقع.

ومن هذا المنطلق بنينا مضمون مذكرتنا التي ارتكزت على مجموعة من الإشكاليات التي فرضت نفسها من خلال هذا البحث، فماذا نقصد بالنزعة التأملية؟ وكيف أثرت على أدباء المهجر؟ وكيف عالج جبران وأبو القاسم الشابي هذه النظرة التأملية؟.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج التاريخي والوصفي.

ولم تكن دراستنا بالأمر السهل ولعل مرد ذلك قلة المصادر والمراجع، والتي تقف حجر عثرة أمام كل دارس وباحث، فلم يتسنى لنا الحصول على مصادر تتناول موضوعنا بصفة جلية.

لذلك فقد كنا في حاجة إلى توجيه وإرشاد ونصح أساتذتي الأفاضل والاعتماد على أهم المصادر والمراجع التي مكنتنا بعون الله إلى الإلمام بموضوعنا هذا، وهذا ما هو إلا بذرة نرت على نشأتها مجموعة من الأيادي تمثلت في مجهودات الأساتذة والطلبة وما توفيقنا من قبل ومن بعد إلا بإذن الله.

وللإجابة عن هذه التساؤلات اتبعنا خطة ارتأينا فيها تقسيم بحثنا إلى فصلين تحت كل فصل يندرج ثلاث مباحث إضافة إلى المقدمة والمدخل اللذين تصدرا هذا البحث حيث استعرضنا في المدخل نظرة شاملة على الأدب المهجري، لتناول بعد ذلك الفصل الأول مفهوم الشعر المهجري ونشأته.

أما الفصل الثاني فجعلنا من عنصر التأمل عند أبو القاسم الشابي وجبران خليل جبران موضوع الفصل ، وتطرقنا إلى أهم بواعث و مؤثرات التأمل، لنختم الفصل بدراسة نموذج قصيدة "المواكب" لـ"جبران" ونموذج قصيدة "أغاني التاته" للشابي، شلا ومضمونا، لنختم بحثنا بخاتمة تناولنا فيها خلاصة عما قمنا بدراسته.

مدخل

لقد أعطى للإنسان قوة التفكير والتعقل ، من أجل الاستفادة منهما في معرفة الحياة وجوانبها، فالتأمل يكون ذاتي عند الإنسان فهو الباحث عن الخبايا والمجهولات، وهذه الميزة لصيقة به مدى الحياة،«إن التأمل هو ثمرة التفكير العميق، والذي يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، وله مكانة مرموقة في الأدب العربي المعاصر عامة وأدباء المهجر خاصة، بترقيته وازدهاره، والغاية من التأمل التعبير عن ما تثيره هذه المجردات من خوالج وصور خيالية»[1]، فهو ثمرة الامتزاج الفكر بالخيال ، حيث يغيب الإنسان عن ذاته الحسية في ذاته الروحية ، فيشخص الطبيعة برسم منها الخيالات.

«ولد الأدب التأملي من رحم الفنون الأدبية ، وازدهر وتطور حتى وصل إلى مستوى فلسفي، خاصة في العصر العباسي، حيث امتزج هذا الأدب بالفنون الشعرية من مدح، وفخر، وهجاء ورثاء، ووصف ، أو النثرية من خطب ورسائل، وقصص ، وأمثال.فهناك بعد الروحي الباحث عن ماهية الوجود وعظمته»[2]، وبعد إنساني يفتش عن قيمة الإنسان وأهميته، وبعد زماني معبر عن الماضي والحاضر والمستقبل ، في بقعة حدودها البيئية ومجالها الزمن، فبهذه الأبعاد ندرك أهمية الأدب التأملي ، فهو الحافظ لتجربة الأديب في تعاطيه الملموس من جهة ، والهدف المتخيل من جهة أخرى.

ولقد كانت النزعة التأملية بروزاً واضحا في الأدب المهجري ، في أواخر القرن التاسع عشر، والذي يعد من أهم الآداب التي ظهرت في العصر الحديث.«وهو ثمرة اتصال العبي بالعالم الغربي ، وبسمة في فم الزمن وأنشودة عذبة في شعر التاريخ ، خفف عنهم ألم الغربة ، وساعدهم على احتمال مرارة الفراق عن الأهل والأحبة ، والبعد عن الوطن في أواخر القرن التاسع عشر ، توالت فيه قوافل المهاجرين، والهجرة الأولى من سوريا ولبنان إلى العالم الجديد العقود الثلاثة الأولى»[3]وذلك للبحث عن العيش الرغيد والحياة الكريمة والآمنة، بعد أن ضاقت بهم سبل الحياة في بلادهم ، وبث فيها المستعمر، ألوان الذل والخوف والاضطهاد فعندما وصلوا إلى مهاجرهم لم تكن الأرض أمامهم مفروشة بالحرير ، بل كانت

[1] أنيس الخوري المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث بيروت ط2، 1960.

[2] د.نظمي عبد البديع محمد، أدب المهجريين بين أصالة الشرق وفكر الغرب، ملزم الطبع والنشر :دار الفكر العربي، ص10.

[3] شوقي ضيق، دراسات في الشعر العربي الحديث ، دار المعارف ، مصر، ط1.

مفروشة بالأشواك، "فهناك العديد ممن يشار إليهم من لبنان ، وكان لهم الفضل في إثارة الأدب المهجري ولعل إبرازهم جبران خليل جبران، أبو القاسم الشابي، الیا أبو ماضي ، ميخائل نعيمة ، رويشد أيوب، ونسيب عريضة، الريحاني وهؤلاء أعضاء الرابطة القلمية"[1].

لقد نشأ الأدب المهجري في أمريكا الشمالية والجنوبية ، ففي أمريكا الشمالية أسست الرابطة القلمية وهي الرابطة المهجرية الشمالية رئيسها جبران خليل جبران في 20 نيسان 1920 ولها مجلة تسمى "مجلة الفنون" نسيب عريضة.

أمريكا الشمالية الجنوبية فقد أسس فيها المهجريون **العصبة الأندلسية** وذلك بعد نهاية الرابطة القلمية بسنة واحدة، انتقلت القيادة عن الشمال إلى الجنوب ولقد أسسوا مجلة العصبة الأندلسية، وقد عاشت هذه الرابطة عشرين عاما وهي أكثرهم محافظة من الرابطة القلمية.

من شعرائها فوزي المعلوف وأخوه شفيق المعلوف وخالهما ميشيل المعلوف،والشاعر القروي فالشعراء الذين ينتمون إلى المهجر الجنوبي أكثر من الذين ينتمون إلى المهجر الشمالي ، فكانوا أكثر تعاونا وتآزرا فيها بينهم[2].

تناول المهجريون أدبهم من عديد الزوايا من دقة في التصوير، وعلى دفعات متلاحقة مما يشيع الحيوية والحركة في الصورة ، ويبرزها في هيئة محاطا بأطرافها ومما يستدعي إعمال البصر، واللمس، والحس، حيث تتداعى الصورة في زفة وجمال وفن ، ومن هذا قول نصر سمعان في جمال الطبيعة في بلاده:

تِلْكَ اَلْخَمَائِلُ جَنَاتٌ مُنَوَرَةٌ بِكُلِّ زَهْرٍ زَكَى الطِّيْبِ عَبَاق.
وَالَطَيْرَ مَا بَيْنَ تَغْرِيد وَزَقْزَقَة والمَاءُ مَا بَيْنَ فَوَارٍ ورَقْرَاق.
وَالرِيْحُ تَمْرَحُ فِي الأَدْوَاحِ خَاثِرَةٌ عَلَى الطَبِيعَةِ مِنْ زَهْرٍ وَأَوْرَاقٍ[3].

[1] د.نظمي عبد البديع محمد، أدب المهجريين بين أصالة الشرق وفكر الغرب، ملزم الطبع والنشر :دار الفكر العربي، ص12.
[2] د.نظمي عبد البديع محمد، أدب المهجريين بين أصالة الشرق وفكر الغرب، ملزم الطبع والنشر :دار الفكر العربي، ص139.
[3] المرجع نفسه، ص140.

1. الرمزية الفّنية:

لقد كان اتجاه المهجريين الرائد في الشعر شعراً بواسطة الرمز اتجاها لتوضيح فيه التأثير بالغرب ويتفاوت الرمزيون في أساليب تعبيرهم بين التحويل على سحر اللفظ وبين ترقيمه أو إبهامه، ولا يحفلون بالتفسير أو المقابلة ومرد هذا لشعورهم اللغوي[1].

ولقد ألح المهجريون في تبض مشاعرهم على إثبات وجودهم في مجتمع الغرب وتحدثوا عن عراقة عنصرهم، والافتخار في التغني بعروبتهم وخاصة في المجتمع الجنوبي الأمريكي الذي اعترف بأمجادهم[2].

2. حياة الغاب:

من أهم ما ذكره المهجريين عن حياة الغاب أنّها حياة خالصة بعيدة عن الواقع من قسوة وظلم للإنسان ، وحديثهم عنها كان متراوحا بين الطول والقصر بشكل لم يعهد في الأدب العربي وهذا ما وصفه فرحات قائلا:

وَتَدْخُلُ قَلْبَ الغَابِ والصُبْحُ مُسَخَرُ فَتَحْسَبُ أنَّ اللَّيْلَ لِليْل مُعَقَبُ.

ولقد كان المهجريون يتعرفون من عالم الدنيا الجديد عالما رغيد، فوجدوا عالما مجردا من المحبة والتسامح والإخوة فهاجروا، لكنهم صدموا بخلاف ما كانوا يتوقعون ، ولم يجدوا مطمعهم إلاّ في حضن الطبيعة فاتجهوا إلى الغاب بعد أن راو النهر لا يرد ومن هذا اتخذ جبران خليل جبران وأبو القاسم الشابي الطبيعة ملجأ لهم حيث كان الشابي رومنطقي يسعى إلى ذاته الشخصية في زمن كانت في البيئة السياسية والاجتماعية تحاول سلب حرية الفرد وخصوصيته والذي ارتكز في خصائصه اللفظية على كتابات جبران خليل جبران حيث يقول:[3]

[1] نظمي عبد البديع محمد، أدب المهجريين بين أصالة الشرق وفكر الغرب، ملزم الطبع والنشر :دار الفكر العربي، ص440.

[2] المرجع نفسه، ص441.

[3] المرجع نفسه، ص442.

ذُلَّ قَلْبِي
مَاتَ حُبِّي
عاذر فِي يَا مُقْلَةَ اللَيْلِ، الدَّراريْ عَبَرَاتْ
حَوْلَ حُبِّي فَهُوْ قَدْ وَدْعَ أَفَاقَ الحَيَاةْ
بَعْدَ أنْ ذاقَ اللّهِيْبْ
وانْدُبِيْهْ
واغْسَلِيْهْ
لِدُمُوعِ الفَجْرِ مِنْ أكرابِ زَهْرِ الزِنْبَقْ[1]

وهكذا كان الشابي يتأمل في الوجود ويصف حياة الغاب بكلّ ما فيها يقول جبران خليل جبران

لَيْس فِي الغَابَاتِ سُكر مِنْ خيالٍ أو مُدامْ
فالسواقي ليْسَ فِيْهَا غَيْرَ أكْسِير الغَمامْ[2]

ويقول اليا أبو ماضي: أيضا:

وَدَيي اخْتَارَ الغَدِيرُ لِنَفْسه وَيَا حُسْنَ مَا اخْتارَ الغَدِيرُ أَحْلى.
تَجِيءُ إِلَيْه الطيْرُ عَطشَ فَترْتويْ وَإِنْ وَرِدْتُه الإِبْلُ لم يحْرِمْ الإِبْلاَ.
وَيَغْتَسِلُ الذِئْبُ الأَثِيْمُ بِمَائِهْ فَلاَ أثِم ذَا يَمْحَى ولاَ طَهْرُ ذَاُيْبَلى.

فنرى اليا أبو ماضي قد اعتبر الطبيعة بمثابة الخير والحب والجمال والتضحية ، فتأملوها فوجدوها معطاة دون مقابل لذا نصحوا الإنسان أنْ يشتبه بها في صورها العديدة من تراب ونهر وغدير ونجمْ[3].

[1] نظمي عبد البديع محمد، أدب المهجريين بين أصالة الشرق وفكر الغرب، ملزم الطبع والنشر :دار الفكر العربي، ص443.
[2] المرجع نفسه، ص443.
[3] المرجع نفسه، ص444.

3. المهجريون ضحايا صراع بين حضارتين:

لقد وجد المهجريون أنفسهم موزعون بين حضارتين:

أ. حضارة الشرق:

«فكانت هذه الحضارة تؤمن بالروح من خلال المادة ، وفيها يوضح الجسد في خدمة الروح، وتكون الإدارة صاحبة الشأن الأول في انقصار الروح على الجسد»[1].

ب.حضارة الغرب الحديثة:

«والتي كانت تؤمن بالجسد والإحساس والتجربة وتقدس العقل وترفض الإيمان بالأمور الغنية المجهولة.

وقد أوقعهم هذا الصراع في حالة من التوزيع النفسي بين حضارتين تختلفان هدفا وروحا وغاية ووسيلة ، ومن هنا تولد في نفوسهم الإحساس بالانفصال عن المجتمع الجديد، وتوقد شعورهم بالغرابة بعد أنْ أحسو الاضطراب، وفقد الأمن والاستقرار بعد أن افتقدوا الزاد الروحي في عالمهم الجديد، ويتجلى هذا الصراع عن استجابة المهجريين لراعى الروح ضنا بأنفسهم أن تستبعدهم المادية بعد أن أتيحت لهم فرصة بالتحرر بالقرار من هروب الاستبداد[2] .

في الشرق يقول رشيد أيوب:

عكفت على الإقلال –علما بأنّه يلد لنفسي الانتصار على الدنيا

هكذا كان رشيد أيوب يجبر نفسه على القناعة ليعتز بحريته .

[1] النثر المهجري ، عبد الكريم الأسقر، ج1، ص68.

[2] الأدب العربي في المهجر، محمد عبد الغني حسن،ص50.

فكان المهجريون يحاولون إدراك الحقيقة كنه السكون نتيجة للصراع الذي وقع فيه ضحاياه بعد أنْ استولى عليهم الشّك، وأغرقهم في الظلال من الأوهام والظنون ، فكان نبع الخير الإنساني في القلوب المهجرية غيثا هطالا بعد أنْ صفت قلوبهم وتخلصت من الخصومات والضغائن.

ولقد عرف المهجريون أنفسهم وأدركوا قيمة إنسانيتهم بعد أنْ غادروا بؤرة الفساد الطائفي في المشرق وألهب شعورهم الإنساني حسن التقبل لهم في مجتمع المهجر والصراع المادي الذي لا يراعي أية حرمة في سبيل جمع المادة[1].

وهكذا عاش المهجريون حياة ملمسها هروبا من الوطن الأم تحت ظروف قاسية ضاغطة، وهروب نفسي عن الوطن الجديد وميل إلى الانعزالية ولجوئهم إلى الطبيعة وذلك لعجز المجتمع الجديد عن احتواء مشاعرهم[2].

[1] نظمي عبد البديع محمد، أدب المهجريين بين أصالة الشرق وفكر الغرب، ملزم الطبع والنشر :دار الفكر العربي، ص446.
[2] المرجع نفسه، ص447.

الفصل الأول:
الشعر المهجري

المبحث الأول:الشعر المهجري المفهوم والنشأة.

المطلب الأول: مفهوم الشعر المهجري

إنّ الأدب المهجري خال عناية كبيرة من الداريس والنقاد ومزال كذلك ، فكان له محبوه ومتذوقوه، وقد كان سببا في نهضة أدبنا الحديث ففتح الباب على مناهج الحياة وروعة المغامرة ، وبزغت منه شمس الحرية من بعد أن كان نائما طيلة الحقب الزمنية القديمة ، حيث حمل الشعر المهجري شعلة الأدب الخلاق المتميز وذلك لغيره شعرائه على حاضر أمتهم ومستقبلها من خلال ما حملوه من قيم إنسانية ، فرغم وضوح المعنى المراد من الشعر إلاّ أن النقاد اختلفوا في ذلك فمنهم من حدده باللفظ الوزن والقافية والمعنى، ومنهم من رأى أن الشعر عبارة عن ضرب من الكلام البليغ الذي تزينه الاستعارة والوصف الجميل ويكون مفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي وآخرون عدوه أنه قياس مؤلف من المخيلات والغرض منه انفعال بالترغيب والتنفير[1] إذن فحسب هذه التعريفات فالشعر عبارة عن طاقات لغوية أو فكرية يمتلكها الشاعر ليتميز عن البقية وهو تعبير ينبع من أعماق الشاعر يعبر به عن ظاهرة معينة ، وهذا ما يقودنا إلى الشعر عند المهجريين فالمهجريين يؤمنون بالتجديد في الشعر ويرون الشعر صورا شعرية حية متحركة نابضة بالحياة وموسيقى متوثبة رفافة تحرك كل شيء في عقل الإنسان وفكره، ومعاني جميلة بديعة لا يطغى عليها الأسلوب فمن خلال هذا يتبين لنا أن المهجريون أعطوا للشعر نظرة جديدة مغايرة لما جاء عليه من قبل[2].

والشعر المهجري كما نظر إليه الدارسون على أنه مصطلح للشعر،وهو يّدل على الأدب الذي كتبه المهاجرون اللبنانيون والسوريون في القارة الأمريكية باللغة العربية خصوصا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين[3].

---

[1] يوسف عز الذين، التجديد في الشعر المهجري دار المدى للطباعة والنشر،ط1،1986، ط2،2007، ص42.

[2] عبد المنعم الخفاجي، قصة الأدب المهجري، دار الكتاب اللبناني، بيروت د ط، 1986، ص328.

[3] لطيف زيتوني، أدباء المهجر وأزمة الانشطار الروحي، ص02.

فهذا الشعر لا يشمل كتابات المهاجرون اللبنانيون في مصر (خليل مطران جرجي زيدان، يعقوب صروف، الخ...) لأنها لم تخرج عن الجوّ العربي لم تكن باللغة العربية ولا يشمل أيضا الروايات العربية التي صدرت في النصف الأول من القرن العشرين وصوّرت حياة الكاتب في الغربة مثل "أديب" لطه حسين، "عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم ، ومعظم الذين كتبوها لم يكونوا من المهاجرين بل من الموفدين للدراسة ، وكانت عودتهم إلى بلادهم مؤكدة[1].

وكان هذا الشعر لونا مشتركا بين كل أدباء المهجر ، وكان الفن الوحيد تقريبا لدى أدباء المهجر في أمريكا الجنوبية .أمّا أدباء المهجر في أمريكا الشمالية فكتبوا الشعر والمقالة والقصة والرواية والمسرحية والسيرة والنقد الأدبي والفن، ومنهم خرج أشهر أعلام الأدب المهجري كجبران خليل جبران ، ميخائل نعيمة، والريحاني وإيليا أبو ماضي، إليهم خصوصا يشير الدارسون عند الحديث عن تأثير الأدب المهجري، غربل المهجريون الشأن الثقافي السائد في مجتمعهم بغربال الزمن ، فنظروا إلى تقاليدهم في ضوء عصر، إلى أدبهم من خلال ما وصلت إليه الأدب العالمية[2].

وللكشف عن طبائع الشعر المهجري من زواياه النفسية والتعبيرية و النفسية والاجتماعية ، يختم علينا مقاربة موضوعية لهذا الشعر من الوجهة النفسية ومن الوجهة الأسلوبية التعبيرية ، والكشف عن جوانب الخفية للمبدع المهجري والظروف المختلفة للنفس البشرية بداخلها الفكرية والعاطفية[3] فالمتبع للشعر المهجري يلحظ فيه تلك الروح والذات الشرقية العربية الأصلية رغم تأثر هذا الشعر بالحركة الرومنتيكية التي شاعت في أوربا في القرن التاسع ، فالشاعر المهجري عندما يتناول الطبيعة أو الحب ، أو النفس الإنسانية إنما يتناول ذلك بروح شرقية خالصة وبذاتية عربية أصلية تحن إلى الوطن الأم[4].

---

[1] المرجع نفسه، ص12.

[2] ينظر لطيف زيتوني، أدباء المهجر وأزمة الانشطار الروحي، ص02.

[3] ينظر، صلاح فضل علم الأسلوب ومبادئه وإجراءاته، دار الشرق،ط1، القاهرة ، 1996، مصر ، ص131.

[4] ينظر ،محمود محمد عيسى، الأفصوصة الرمزية في الشعر المهجري ، مكتبة خانسي، دمياط، القاهرة ، 2004، مصر ص3-4.

فإنّ أخطر وأهم ما يميز الشعر المهجري هو التحرر التعبيري عن الشاعر المهجري ذلك التحرر والمتبصر بوظيفة الشعر في الحياة وبرسالته، لذلك سعى المهجريون إلى خلق صورة ذاتية قادرة على نقل تجربتهم الجديدة متسمة بشدة الحساسية، وقوة التأثير وعمق الإيحاء[1].

وهكذا اشتغل الشعر المهجري عامة بالعلاقات الحية المباشرة بين الفرد والمجتمع، فلم يوجد فيه كثيرا الإحساس بانعزالية الفرد عن المجتمع وبذاتية عالمه وانغلاقه على بل وجد فيه الإحساس بالفرد الإنساني كوحدة من وحدات المجتمع ، تتفاعل معه وتنفعل باهتماماته ، وتنشغل بقضاياه[2].

"وبذلك كان شعراء المهجر يشتركون في أنّ الميزة الكبرى لأدبهم ، ومن تأملهم في خفايا الحياة وفي منازع النفس البشرية جعلهم ينتجون إنتاجهم الأدبي السخيّ"[3].

"فالانتشار الثقافة الأمريكية عن طريق الإرساليات ، تعد من أهم الأسباب التي جعلت أهل الشام ينزحون عن وطنهم متجهين إلى أمريكا ينشدون الحرية ويتوقون إلى العدل والمساواة ، بحيث لم تكن هناك قيود على الهجرة والمهاجرين إليها، وليس في قوانينها ما يقيد المهاجر في اختيار العمل الذي يريده في شق طريق الحياة، بالوسائل التي يختارها[4].

"لذا انطلق المهاجرون من أرضهم التي ذاقوا بأوضاعها وراحوا في غربتهم يعرضون على العالم كنوزا لم يتوقعها، وفي مقدمة هؤلاء ميخائل نعيمة الذي يقول معبرا عن حيرته:

نَحْنُ يَا بَنِي عَسْكَرْ قَدَتَاهَ فِي قَفْرٍ سَحِيقْ.
تَرْغَبُ الْعُودْ ولاَ تَذْكُرْ مِنْ أَيْنَ الطَرِيقْ.
فَانْتَشَرْنَا فِي جِهَاتِ القَفْرِ نَسْتَحْلِي الأَثَرْ.
نَسْأَلُ الشَّمْسَ عَنِ الْعَرَبِ ونَسْتَقِي الحَجَرْ[5].

[1] ينظر أنس داود ، التجديد في شعر المهجري ، ص138.
[2] ينظر أنس داود ، التجديد في شعر المهجري ، ص232.
[3] ينظر، خالد محي الدين البرادعي ، المهاجرة والمهاجرون، مج1، ص 221.
[4] قصة الأدب المهجري، د الخفاجي ص16.
[5] همس الحقون، مخائيل نعيمة، ص46.

"فعاش المهجريون في بيئتهم هم عنها جد غرباء ، فكانوا يعانون من غربة الحس والفكر والروح ، وكانوا يشعرون بالاختناق في هذا الجو الذي تتحكم فيه الآلهة ويريدون الانطلاق إلى عالمهم الروحي المثالي.

بالرغم من الصراع والآلات التي تشد العقول وتجعل الناس تنسى كل نبضة حب وخفقة حنان ، إلاّ أنّ الأدباء نفروا المجتمع الديناميكي ، وإطلاق العنان للعاطفة الإنسانية والوجدان الصافي ، والفكر المتلاحم مع شوق الإنسان، والارتقاء بعقله فوق عالم المادة وخوض تجارب التأمل في نفسه ووجوده وعقيدته وما حوله من مظاهر الطبيعة والحياة والموت، وكان الشعر في أغلب تجاربهم قاربهم السحري الذي عبر به بعضهم إلى الشاطئ الآخر، وبعضهم ظلّ تائها عن الميناء[1].

"وأبو ماضي يأخذ فكرة تصوير الحزن وما يحدث في النفس وأنها مثل ذلك الإنسان الذي احتار في كل شيء ، لذا تراها معلقة الأنفاس تسأل نفسها، حيث يقدم نظرته الثاقبة في الوجود وتشابك الحياة فيقول:

وَالْذي نَفْسُهُ بِغَيْرِ جَمَالٍ لاَ تَرَى فِي الْوُجُودِ شَيْئاً جَمِيلاً.
اليَأْسُ أشْقى مِمَنْ يَرَى العَيْشُ مُراً وَيَطُنُ اللَذَات فيه فُضُولاً .
احْكُمُ النَّاسَ فِي الحيَاةِ أُنَاسٌ عَلَّلُوها فأَحْسَنُوا التَعْلِيلاَ"[2].

ويقول الشاعر السوري نسيب عريضة المغترب في أمريكا يخاطب وطنه.

مَشَتْ القُرُونُ وَكُلُ شعْبٍ قدْ مَشَى مَعاً، وَقَوْمَكَ وَاقِفُونَ وَلَوْمٍ.
لَمْ تَرْتَفِعْ كَفُ لِصفْعةٍ غَاشِمٍ فِيهِمْ وَلَمْ يَنْطِقْ بِتَهْدِيدٍ فمٍ.

"لقد لم يندمج المهجريون في نسيج المجتمع الأمريكي بل انضم بعضهم إلى بعض وكونوا مجتمعا على هامش المجتمع القائم ، وواصلوا حياتهم كما كانوا في الوطن ، وحافظوا على عاداتهم ولغتهم، واهتموا بشؤون بلادهم، وتابعوا الحركة الثقافية ، فيها خلال ما تنشره مجلاتها ، وتصدره دور النشر فيها، وشاركوا

[1] د.عز الدين إسماعيل ، التفسير النفسي للأدب ص42.
[2] إيليا أبو ماضي ، الأعمال الشعرية بكاملة، ص490.

في هذه الحركة بمقالاتهم وكتبهم ، وتمسكوا باللغة العربية في الكلام والكتابة ، وعالجوا بها كل ما يتصل بالواقع العربي، وشغلتهم الموضوعات التي شغلت الأدباء في الوطن ، فتابعوها ، وأدلوا بدلوهم فيها.

ومنه لقد كان للشعر المهجري أثر كبير في الأدب العربي، وهذا بفضل المهجريين بحيث لا نجد بلداً عربيا لم يعترف بهذا الجهود، وإن كان على درجات متفاوتو وليس من الضروري أن يكون تأثيره بمعنى التقليد، وإنما موحي للخلق الشخصي والعمل المستقل[1].

[1] المرجع نفسه، ص495.

المطلب الثاني: نشأة الشعر المهجري.

"إن الجذور الأساسية لأدب المهجر يضرب بأصالة في أعماق الأرض التي احتضنت البذور القطرية الأولى لهذا الأدب ، والتي أتت أكلها بعد ذلك طيبا حينما وطئت أقدامهم أرض العالم الجديد، حيث تعددت الروافد التي غذت أدب هؤلاء المهاجرين في مهاجرهم، والأرض هي سوريا ولبنان، وكانتا خاضعتين في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين للحكم العثماني، حيث رأت الدولة العثمانية أن خير وسيلة لإضعاف لبنان، وإخضاعه لسيطرتها .هي إثارة الفتن بين السكان ، وقد بدأت نيران هذه الفتن تندلع سنة 1841م، حتى بلغت ذروتها في فتنة الستين، التي اشتركت في تأجيجها الدولة العلية، والدولة الأوروبية ذات المصالح المتعددة في لبنان والشرق ، ومنح الجبل على أثر ذلك نوعاً من الاستقلال الذاتي ، ووضعت أسسه سنة 1261م ونقحت بعد ثلاث سنوات وحمته الدول السبع التي اشتركت في إعداده وهي الدول العلية وإنجلترا وفرنسا ، وبروسيا والنمسا ثم ألمانيا التي انضمت إليها سنة 1864م[1].

.."ولهذا اضطر كثير من أبناء لبنان إلى ترك البلاد إلى المهاجر في مصر وأستراليا والأمريكيتين، وكانت الهجرة من واقع أليم جثم على صدر الأحرار، والتماسا لواقع جديد يتنفسون فيه بحرية ويحسمون أحلامهم التي كانت متحصله في غياهب الجور والطغيان السياسي[2].يقول نسيب عريضة في قصيدته حكاية مهاجر سوري: [3]

غَرِيباً مِنْ بِلاَدِ الْشَرْقِ جِئْتُ ... بَعِيداً عَنْ حُمَّى الْأَحْبَابِ عِشْتُ.
اتَّخَذْتُ أَمْرِيكَا وَمَلْجَأً ... فَكَانَتْ لِي كأَحْسَنِ مَا اتَّخَذْتُ.
أَتَاهَا لِلْغِنَى غَيْرِي وإِنِّي ... كَمَا جَاءُوا مَعَ الأَقْدَامِ جِئْتُ .
وَلَكِنِّي طَلَبْتُ بِهَا حَيَاةً ... مَعَ الحُرِيَةِ المُثْلَى فَنِلْتُ.

[1] عبد الدايم، أدب المهجر، دراسة تأملية تحليلية لأبعاد والتجربة التأملية في الأدب المهجري دار المعارف ، ط1993،1، ص13.
[2] الشعر العربي في المهجر أمريكا الشمالية ص18-19، حسان عباس:د.محمد يوسف نجم.
[3] ديوان الأرواح الحائرة ص267، نسيب عريضة.

وحيث تتسع مسيرة الهجرة ، ومواكب المهاجرين في شيء من الإيجاز نرى أنّ الهجرة بدأت أولاً إلى أمريكا الشمالية، ولم يتجه المهاجرون إلى جنوبها إلاّ بعد وصولهم إلى الشمال بنحو عشرين عاماً، وكانت لهم أول الأمر مراكز للتجمع يلتقون فيها ثم ينزحون بعد ذلك في المدن والضواحي والقرى الأخرى[1].

"وإذا حاولنا أن تتقصى أوائل المهاجرين حتى تعثر عن البذور التي غرسها في حقل هذا الأدب وشاركت في نموه، نرى أنّ أول مهاجر هو اللبناني" **أنطوان اليشعلاني**" سنة 1854م ، كما بذكر د. حسن جاء في كتابه أدب المهجر ويوافقه د.الخفاجي في كتابه قصة الأدب المهجري، ويذكر محمد عبد الغنى حسن أنّ أول عربي وطئت قدماه أرض كولمبس هو الدكتور **لويس صابونجي**، هجرته كانت عام 1872م، وبذكر أنه هاجر بعد الأديب مخائيل رستم[2].

ويتضح لنا من خلال الآ اء السابقة أنَّ الهجرة بدأت مقدماتها تطهر منذ أواخر القرن التاسع عشر، ما عاد هجرة **الخوري إلياس الموصلي** سنة 1688م.

كما يقول الشذياق ، ولم يكن لها أثر أدبي ، ويلاحظ أنّ الهجرة كانت إلى الشمال أولاً، أما الهجرة إلى الجنوب فترجع إلى عام 1874م، حيث كان أقدم المهاجرين شقيقين لبنانيين من عائلة زخريا[3].

كما تكاثرت الهجرة في عام 1880م، حيث وصل أول مهاجر فلسطيني إلى تشيكا وهو " **إلياس جبرائيل دعيق**" و"سنتياغو" أول مهاجر أيضا إلى المكسيك عام 1882م، وجل المهاجرين كانوا من سوريا ولبنان والقليل من أبناء فلسطين والهجرة من مصر إلى أمريكا كانت قليلة.

[1] حسن جاد، الأدب العربي في المهجر ص26.

[2] عبد الدايم، أدب المهجر، دراسة تأملية تحليلية لأبعاد والتجربة التأملية في الأدب المهجري دار المعارف ، ط1،1993، ص14.

[3] المرجع نفسه، ص15.

فرجوعاً إلى بيئة لبنان خاصة في القرن التاسع عشر، نرى أنّ الهجريين سبقوا يارها صات أدبية مهدت الطريق لهم ، وكونت مزاجهم الثقافي ورحلوا والبدايات الأولى تتأهب لتشق تربة أعماقهم وتخرج للنور الجديد في العالم الجديد[1].

فإذا كانت الملامح السابقة تكون لنا الجذور التي تمثل المنابع والاجتماعية والسياسية لكوين عقلية المهجريين على مستوى بيئتهم ، إضافة إلى العوامل التي أثرت فيهم بعد وتلقوها خارج بيئتهم ، فكيف يا ترى شقت هذه الجذور ظلمة الجمار؟وفتتت جمود الأرض، لترى نور الحياة، وتثمر وتؤتي أكلها، وكيف شقت هذه المنابع مجراها بين الصخور ، لتفيض بالكوثر المعسول على شفاه المغتربين ، فتغدي مشاعرهم وتزيل من شحنات أرواحهم[2].

لقد آمن المهجريون بأنّ هناك روابط تجمع شملهم ، وعنها تصدر أعمالهم الإبداعية ، لذا كانوا رابطتين ، هما الرابطة القلمية ، والعصبة الأندلسية .فالرابطة القلمية وضحت مدى إغراق المهجريون في التأمل في كل مجالات الوجود وما وراء النفس الإنسانية والطبيعية وما ورائها، وقيم الحياة من خير وشر وحب وبغض، أما العصبة الأندلسية فقد ظهرت لتجدد طبيعة الشعر العربي ، بغير عنف أو ثورة، وقد أظهرت هذه الروابط مواهب المهجريون ، وعبرت من أرائهم ونقلت أصواتهم التائه المشوبة بأنين الغربة وأصداء الحنين إلى بلادهم وبلاد العالم كله[3].

[1] محمد عبد الغني حسن ، الشعر العربي في المهجر ، من كتاب الناطقون بالضاد في أمريكا ص19.

[2] إ حسان عباس ومحمد يوسف نجم، الشعر العربي في المهر، ص31-32.

[3] ينظر كتاب الأدب العربي في المهجر لـ د.حسن جاد، ص660.

"حيث يقول أبو القاسم الشابي في قصيدته بعنوان " بقايا الخريف" من ديوانه أغاني الحياة:

كَرِهْتُ الْقُصُورَ وَقُطَّانُهَا وَمَا حَوْلَهَا مِنْ صِرَاعٍ عَنِيفْ
وَكَيْدُ الضُعْفِ لَسَعْيِّ القَوي وَعَصْفُ القويُّ بِجُهْدِ الضَعِيفْ
وَجَاشَتْ بِنَفْسِي دُمُوعُ الْحَيَاةْ وعَجَّبْ بِقَلْبِي رِيَّاحُ الصُرُوف
لِقَلبِ الفَقِيرِ الْحَلِيمِ الْكَبِير وَدَمْعُ الأَيَامِي السَفِيحُ الدَرِيفْ

يحكي هنا الشابي جانبا من جوانب الحياة والمجتمع ، فهو محبوس بين عالمين عالم الغربة وعالم الحنين إلى الوطن"[1].

"ويعتبر هذا الشاعر من أكثر الشعراء الوجدانيين مزجاً بين عواطفه الذاتية ومشاعر ه الوطنية ، في إطار من الطبيعة التي تكون عنصراً عاماً في كثير من صوره الشعرية ثم يتجه إلى الغاب ليدفن بأسه وبؤسه"[2]

كما توسع المهجريون في نقد التعصب فبينوا دور رجال الدين في تغذيته وفي تعميق الهوة بين المذاهب والأديان ، وصوروا ريّاء المتدينين ومادية تعبدهم القائم على الخوف والثواب حيث يقول جبران خليل جبران في قصيدته المواكب:

وَالدينَ فِي النَّاسِ حَقْلُ لَيْسَ يَزْرَعُهُ غَيْرُ الأَلَى لَهُمْ فِي زَرْعِهِ وُطُر.
مَنْ أَمِلَ بِنَعِيمِ الْخُلْدِ مُبْتَشِرُ وَمَنْ جَهُولٍ يَخَافُ النَّارَ تَسْتَقِرُ.
فَالْقَوْمُ لَوْ لاَ عِقَابُ الْبَعْثِ مَا عَبَدوا رِبَا وَلَوْلاَ الثَوابُ الْمُرتَجَى كَفَرُوا.
كأَنَّمَا الدِينُ مِنْ مَتاجِرِهِمْ إِنْ واظَبُوا رَبِحُوا أَوْ أَهْمَلُوا قَسِرُوا[3].

[1] د.عبد القادر القط الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب ، 1988، ص286.

[2] أغاني الحياة، ص149.

[3] جبران خليل جبران 1964، موعة الكاملة، بيروت ، دار صادر ودار بيروت.

المبحث الثاني: أهم رواد الشعر المهجري وخصائصه.

المطلب الأول: واقع شعراء المهجري

" لقد عاش المهجريون العرب الذين نزحوا إلى القارة الأمريكية في القرن التاسع عشر حالا من الانشطار بين جسد مقيم في أمريكا وروح لا تقبل الانفصال عن الشرق ، ثم فعل الزمن فعله في بعضهم واستعصى الآخرون على الزمن فعاد عدد منهم إلى الوطن ، واستمر الباقون يصارعون العذاب وألم الاغتراب ، ثم انتقل هذا الألم عندهم من الألم الشخصي إلى الألم القومي فإلى اللم الإنساني ، وتحوّل الوطن في كتاباتهم إلى مكان روحي "فالمهاجر يترك وطنه نفوراً من ضائقة اقتصادية ألمت ببلاده وجعلت العيش فيها مستحيلا ، أو من حوادث وقعت وهددت حياته أو من مسألة شخصية لم يجد لها حلاً سوى الابتعاد ، وقد يترك بلده طمعا بتحقيق ثروة ، أو حبا بالمغامرة أو رغبة في العيش في بلاد راقية[1]

"أمّا أدباء المهجر العرب، وجلهم من اللبنانيين فجمعهم سبب واحد وهو النفور ، فقد ضاقوا بحال بلدهم الذي أوقعه الصراع بين العثمانيين أو روجا في حوادث دموية ، وضاقوا بحال أرضهم الصخرية التي تدفع أهلها إلى طلب الرزق بعيداً عنها، فرددوا في قلوبهم صوت أبي تمام في قوله:

وَطُولُ مَقَام الْمَرءِ فِي الحَيِّ مُخْلِقٍ ... لِدِيْنَا جَتَيْهِ، فَاغْتَرِبْ تَتَجَدَدْ.
فَإِنِي رَأَيْتُ الشَّمْس زِيْدَتْ مَحَبةٍ ... إِلى النَّاسِ إِذَ لَيْسَتْ عَلَيْهُمْ بِسَرْمدِ[2].

وقد عد المهجريون البقاء في الوطن استسلاما للفقر والهوان حيث يقول إيليا أبو ماضي مخاطبا وطنه مودّعا:

لُبْنَان لاَ بَنِيْكَ إِذَا هُمْ ... رَكَبُوا إِلى الْعَلْيَاءِ كُلِّ سَفِيْنٍ.
لَمْ يَهْجُرُكَ مَلاَلَةُ لَكِنهُمْ ... خُلِقُوا الصَيْد اللُؤْلُؤِ لِمَكْنُونْ.
لِمَا وَلَدَتْهُم نُسُورًا حَلَقُوا ... لاَ يَقْنَعُونَ مِنَ العَلا خَالِدُونِ[3].

[1] لطيف زيتوني، أدباء المهجر وأزمة الانشطار الروحي ، ص2.
[2] المرجع نفسه، ص3.
[3] لطيف زيتوني، أدباء المهجر وأزمة الانشطار الروحي ، ص3.

فأول شعور حس به المهجريون أثناء وصولهم إلى بلاد المهجر، أنهم متروكون لمصيرهم تائهون في مهجرهم مسؤولون وحدهم عن أنفسهم ومستقبلهم وكانت صدمتهم بالواقع الجديد مرحلة قاسية من الألم الشخصي يقول ابن الجهم:

يَا رَحْمَتَا لِلْغرِيْبِ فِي البَلَدِ النَّا زحِ مَاذَا بِنَفْسِه صَنْعاً.
فَارَقَ أَحْبَابِه فَمَا انْتَفَعُوا بِالعَيْشِ مِنْ بَعْدِه ومَا انْتَفعَا[1].

وهكذا بدأت حياة المهجريون مكسورة الخاطر والمعنويات في درجة الصفر لا أمل ولا نجاة إلا في العمل ، ولكن في أي حقل يعمل وهو الغريب الجاهل الأبكم الخالي الوفاض، فالتجارة تستلزم رأس مال والزراعة تتقاضى المهاجر جهود السنين الطويلة وما هو في حدسه إلى عابر سبيل ، يستعجل الثراء ليغذي أهله الجياع في الوطن ،وليدفع ما استدان من المرابي وليعود إلى داره في أقرب وقت وكانت ردة فعلهم الأولى هي الندم على الهجرة.

وَطَنِي أيْنَ أنَا مِمَنْ أَوَدُ أوْ مَا للحَظ بَعْدَ الجذْرِ مَدْ؟
مَارَسْتْ حَنِينَ رَسَتْ فَلَكُ النوى لَوْ أَبَا حَوَالِي فِي الدِقَةِ يَدْ[2].

وبعد الندم تأتي الشكوى من وحشة الهجرة:

يَاءُ عنْ الأَوْطَانِ يَفْصلني عَمَنْ أُحبُ البِّر والبَحْر .
فِي وحَشْةِ لاَ شَيْء يُؤْنِسُهَا إلاَّ أَخَاوَ الْعُودَ وَالْشِعْرِ[3].

فهناك بواعث وظروف أدت إلى الهجرة للوصول إلى العوامل التي حركت هذه المواهب وتلك الاتجاهات الجديدة في الأدب في مقدمتها التأمل الذي كشف عن ثراء أرواحهم وأصالة فمنهم وعمق تجارتهم ، ولم تعدهم إلا إلى الحيرة الكونية والصراعات النفسية والارتطام بالواقع كالكابوس والمستقبل الليل وإن كانوا في بعض الحيان يعيدون لذة في هذا الصراع ولا يفتقرون شعورهم بالأمل في غدٍ أفضل يعم الإنسانية كلها ، فالتجربة التأملية التي يخوضها الأدب ليعطينا من خلالها صورة صادقة عن أفكار ومشاعره ونبوءاته وتصوره للعالم من حوله[4].

[1] ابن الجهم علي، ديوان ابن الجهم ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق ، 1949، ص03.
[2] جورج صيدح، أدبنا وأدباءنا في المهجر الأمريكية بيروت دار العلم للملايين 1964، ص4.
[3] القروي، لأعمال الكاملة ، الشعر ، طرابلس لبنان، جروس بربس، ص5.
[4] صابر عبد الدايم، أدب المهجر، ص34.

فكان أغلب المهجريون يميلون إلى الانكماش والتأمل ويظهر هذا جليا في دعوة جبران إلى حياة الغاب بعيدا عن زحام المدينة وهروب أبي ماضي من القصور إلى الفقر، وضحوا سعادتهم مقابل سعادة الآخرين وترجم هذه الحقيقة شعر إيليا أبو ماضي فقال:

بَنَيْت فِرْدَوْسِي وَزَخْرَفَتِه حَتى إذَا مَا تَمَ ضَيّعَتُه.
أجْرَيْتُ فِي أنْهَارِه كَوْثَرَا فذَاقَهْ النَاسِ وَمَا ذُقْتُهْ[1].

فهذه الأبيات تمثل حياة كل نفس وإحساس كل قلب يعاني من الصراع الجاد بين البقاء والفناء .

فقد وقف هذا الشاعر من العالم والنفس والحياة موقفا فكريا تفاؤليا عبر بالفكر بدلا من الصورة والتقرير والتجريد فكان شعره مفهوم وبت وجدانه في بعض أوصافه وتأملاته، ويناقش الصراع البشري ومعاناة الإنسان من أخيه وينقله بأسلوب أمثل وأحكم[2].

فكان المهاجر ينفي حريته في الاختيار، وقد تمثل هذا النفي في الغالب بإنكار البعد الإداري للهجرة وإنكار اختيار البلد المضيف والتنكر له، وتحميل صورة الوطن الأصلي ، وإحلال فكرة الرحلة المؤقتة مكان فكرة الهجرة الدائمة، فها هو الشاعر القراوي رشيد سليم الخوري يصوّر نفسه مدفوعا إلى الهجرة لا مختاراً مجبراً لا حراً :

أَرُومُ إِلَى لُبْنَانْ عوْداً فيَمْنَعُني عَنِ العُودِ افْتِقَارِ.
وَلَوْ خَيَرْتُ لَمْ أَهْجُرْ بِلاَدِيْ وَلَكِنْ لَيْسَ فِي العَيْش اخْتِيَارِ.

فهو هنا يلقي المسؤولية على الوطن الذي دفعه إليها، ويحمله ما يتعرض لَهُ مِنْ نَكْدِ:

وَطَنِي طَوّحْتُ بِي فِي مَهْجَرِ يُرْهِقُ الحرُّ بِأنْواعِ النَكَدِ[3].

[1] إيليا أبو ماضي ، تبروتراب، ص133.
[2] المسعد عيد العطوي، الأدب العربي الحديث، ط1، 1شوال 1430هـ/2009م، ص127.
[3] جورج صيدح، أدبنا وأدباءنا في المهجر الأمريكية بيروت دار العلم للملايين 1964، ص37.

وَضَرَرِ هَذَا المَيْلِ إِلَى النَفْيِ ضَرَرُ نَفْسِي ، فهو يمتع التكيف في المجتمع الجديد ويشوه أحيانا كثيرة علاقة المهاجر بالواقع ، وصورة أخص علاقته بنفسه.

وينشأ في نفس المهاجر شعوراً بالانسلاخ ، ويتصور نفسه شجرة اقتلعت من أرضها وغرست في بلاد أخرى ، وانسلاخه للجسد دون الروح ، فقد بقيت روحه في الشرق وانتقل الجسد إلى أمريكا ، فقد صور لنا نسيب عريضة أن هذا الانسلاخ أشد هولا إذ حوّل نفسه إلى نفسين في قوله :

أَنَا المُهَاجِرْ ذُو نفْسيْنِ : وَاحِدةٌ تَسِيْرُ سَيْرِي وأُخْرى رَهْنَ أَوْطَانِي[1]

فهذا الانسلاخ بتر جزء من الذات قريب مما يسميه علم النفس التحليلي بالحرمان الذي يتعرض له المهاجر ، فالمهاجر تحرمه من لغته لأنها تعطل قدرته على استعمال الكلام الذي كان يربطه بالناس ويشكل هويته فتجعله أبكم ، كما تحرمه من يقينه في قيمة الثقافية وتدخل الشك إلى قلبه بعدما كان يعيش في التسليم والإيمان[2].

فالسائح في البلد الغريب يبحث عن الجديد والمثير الذي يولد في نفسه المتعة، أما المهاجر فيصدمه هذا الجديد لمخالفته ما نشأ عليه من تقاليد وعادات ونظم عقلية اجتماعية ، ويولد فيهم الشعور بالانسلاخ حنينا إلى كنف الأم.

إلى حمى الوطن، حيث كان لهم وجود، وهوية ولغة ، واسم وتذكار هذا الحنين إلى الشطر المفقود قاسما مشترك بين كل أدباء المهجر ، وهذا ما عبر عنه اليأس فرحات في قوله:

نَازُح أَقْعَدهُ وَجْدٌ مُقِيمُ في الحَشَا بَيْنَ خُمُودٍ واتِقَاد.
كُلَمَا اقْتَرَلَهُ البَدْرُ الوَسِيمُ عَضْهُ الحُزْنِ بأنْيابِ حِدادْ.
بِذِكْرِ الرُبْعِ القَدِيمَ فيُناديْ.
أَيْنَ جِنَانُ النَعِيْمِ مِنْ بِلاَدِيْ؟[3]

[1] المرجع نفسه، ص 79.

[2] لطيف زيتوني، أدباء المهجر والانشطار الروحي، ص06.

[3] الناعوري عيسى، أدب المهجر، القاهرة دار المعارف بمصر، 1959، ص77.

وصار كل شيء يذكرهم بالوطن ، فإن طلع البدر من وراء التلال، أو هيت الريح من الشرق، وإن تساقط وغطى القمم، أنشدو مع رشيد أيوب

يَا ثَلْجُ قَدْ هَيْجْت أشْجَانِيْ ذُكَرتْنِي أَهْلِيْ بِلُبْنَان.
يا الله عنْي قُلْ لجِيرانِي مَا زَالَ يَرْعَى حُرْمَةَ العَهْد[1].

وهكذا كان الأمل لا يفارقهم ولو يدا في بعض الأحيان كالسراب.

وهكذا البواعث أيضا الديني ، نظراً للحوادث الدامية التي أحدثها التعصب ضد المهاجرين العرب، وأشعلوا نارها، بحيث كان التعصب والعصبية من أبرز العلل التي وقف عندها المهجريين ، وكانت السبب في خسارتهم لسيادتهم على أرضهم وعلى البلاد التي افتتحوها وتوسعوا في نقد هذا التعصب وبينوا دور الرجال الدين بين المذاهب والأديان، وصوروا رياء المتدينين ، ومادية تعبدهم القائم على الخوف والثواب حين يقول جبران خليل جبران في المواكب:

وَالْدِينَ فِي النَّاسِ حَقْلُ لَيْسَ يَزْرَعُهُ عَبَر الأَلَى لَهُمْ ف زَرْعِه وَطِرْ.
مِنْ آمَلِ بنَعِيمِ الخُلد مُبْتَشِرْ وَمِنْ جَهُولِ يَخَافُ النَار تَسْتَعِرْ.
فالقَوْمِ لَوْلاَ عِقَابُ البَعْثِ مَا عَبَدُوا رُبَا وَلَوْلاَ الثَوْابِ المُرْتَجِي كفَرَوا[2].

ويقول أيضا جبران :

كأنْما الدين ضَرْبُ مِنْ مَتَاجِرهُمْ إنَ واظَبُوا رَبِحُوا أو أهْملوا خَسِروا.

فقد نسبه جبران أبناء شعبه من العرب، إلى ما أوقعهم فيه العثمانيين الذين استغلوا الدين للسيطرة عليهم قصور ولهم الإسلام قومية بينما هو عقيدة ، لو توجه وحذرهم إن لم يقم فيكم من ينصر الإسلام على عدوه الداخلي ، فلا ينقضي هذا الجيل إلاّ والشرق في قبضته ذوي الوجود البائحة والعيون الزرقاء[3].

[1] لطيف رشيد أيوب ، أغاني الدرويش، بيروت ، دار صادر ودار بيروت، 1959، ص128.
[2] لطيف زيتوني، أدباء المهجر والانشطار الروحي، ص12.
[3] ن خليل جبران ، المجموعة الكاملة، بيروت، دار صادر ودار بيروت، 1964، ص355.

فقد ثاروا على الدين أيا كان وعلى اللغة العربية وتمر دواعي الأوزان الشعرية فكانوا يرون العربية برؤية غربية ، حيث يرونه مكيلا للحضارة والتقدم ولم يعترفوا أن الدين الإسلامي دين الحضارة والتقدم ، وقد عابوا الإسلام بسلوك المسلم غير الملتزم بدينه ولا بإنسانيته وقد تأملوا في عقل الإنسان ووجدانه ومعاملته، وطبقات المجتمع ، وحللوا أفكار الإنسان وطبيعة وبيئته[1].

فما هو الشابي يصف في أجواء من اليأس والشفاء ينظر أجمل شعره في وصف الطبيعة وسحر الوجود في قوله:

إنَني ذَاهبُ إلَى الغَاب، يَا شَعْبِي لأقْضِي الحَيَاةَ وَحْدِي بيَأس.
إنَني ذَاهبُ إلَى الغَاب عَلَّي، فِي صَمِيَم الغابات أُدْفنُ بُؤْسِيْ.
سَوْف أتْلُو علَى الطُّيور أُنَاشِيْدي وأقْضِي لَهَا بأَشْوَاق نَفْسِيْ.
فَهِيَ تَدْرِي مَعْنى الحَيَاةَ، وتَدْرِي أنَّ مَجْدَ النُفُوسِ يَقِظَةَ حِيْلَ[2].

فالقصيدة تعبر عن مدى إحساس الشاعر وألمه وراح يسخط الوجود وراح يستغيث الطبيعة لتريحه من شقائها.

ولقد صور لنا شقيق المعلوف لحظة الوداع تصوير فنيا دقيقا ، حيث يقول:

مَجَاديفُ غَيْرَ اليَم طَابَ لَهَا صَدَى يُرْجِعُه صَدفقٌ علَى المَوْج هَادِيءْ.
مَتَى رَحنْ يَعْشَقْن العَباب تَصَاعَدتْ مِنْ الْقَعْرِ تَجْري خَلْفَهُنْ اللالَىء.
يدْفَعْنَ فَتِيناناً تُذْرِيْهُمْ النوى عَلَى كُلْ أُفُقْ وَالرِيَاحِ تنَاوِي[3].

فالمهجريون لم يكونوا سلبيين ، فهم مع تأملاتهم نراهم يخضعون غمار الحياة ويشغلون بكل صنوف الأعمال من بيع وشراء ، والإيمان بالقضاء والقدر ، بعد مغامراتهم ومعاناتهم.

وجسدوا مظاهر الطبيعة ، وبعث الأحاسيس الإنسانية فيها، والإنذماج فيها بالدخول معها مناجاة يقول ميخائيل نعيمة:

---

[1] المرجع نفسه ص 356.

[2] حنا الفاخوري، الجامع في الأدب العربي الحديث، ص559.

[3] شفيق المعلوف، نداء المجاديف 14-15.

يَا نَهْرِ هَلْ نَصَبْتِ مِسَاهُكِ، فانْقَطَعَتْ عَنْ الخَرِيرُ؟
أَمْ قدْ هَرَعْتِ وَخَارَ عَزْمُكِ، فانْثَنَيْتِ عنْ المَسِيْرِ؟
بالأَمْسِ كُنْتُ مُرَنَا بَيْنَ الحَدائِقِ والزُهُورِ.
تَتَلُو على الدُنْيَا وَمَا فِيْهَا أَحَادِيثُ الدُهُورِ[1].

وهكذا كانت الهجرة ترافق الأدباء طول رحلتهم ، بالرغم من رفضهم للبلد الجديد ، حيث كان الأدباء يحاولون قطع ما نسيت في الأرض العربية تعجيلا للعودة المأمولة ، فهذا عقل الجر ينادي ريه في قوله:

أَعِدْنِي إِلَى الأَرْزِيَا خَالِقِي فَلَيْستْ بِلاَدِي هَذِهِ البِلاَدْ[2]

ومع الزمن تحولت الغربة التي أحسوها في بلاد هجرتهم إلى غربة شاملة فهدأت حماسة السباب التي رافقت الدعوة إلى الإصلاح واكتست وقارة الشيوخ ورافقه ميل إلى العزلة ، لا الهروب من الناس بل للتأمل ، فالانخراط في الواقع حصرهم في دائرة واقع واحد، وقد وصف أدباء المهج عزلتهم في أماكن مختلفة من كتبهم وبينوا السبب والغاية ، وتلمس المهجريون هذا البلد والوطن السحري فإذا هو وطن يشع على الأرواح بنوره وتعشقه القلوب ، والمنكشف لبصيرة المتأمل فيه، وهذا بعد أن قطع المهاجر شوطا من رحلة حياته في الهجرة ، فهو يأبون التوق عند أي محطة لأنّ عقولهم تسعى باستمرار إلى محطات أبعد وأرقى تحول الرحلة بين الوطنيين وطن الغربة والوطن الأم[3].

[1] نظمي عبد البديع محمد، أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب، دار الفكر العربي، ص121.
[2] عقل الجر، ديوان عقل الجر، بيروت دار الثقافة، ص53.
[3] لطيف زيتوني، أدباء المهجر والانشطار الروحي، ص19.

المطلب الثاني: خصائص الشعر المهجري.

لقد طرق المهجريون فنون الأدب بطريقة جديدة شملت الشكل والمضمون ولم تقف عند حدّ التلوين في الشكل والصورة ، والرقرقة للمعنى وإنما تعدت ذلك إلى طريقة البحث والاستيطان ، ونوع النظرة ودرجات الشعور وحسن التأتي ، فظهر أدبهم في صورة مغايرة لأصله، وما كان إلا أدبا عربي متجدد الفكر ، بعد أن عصفت رياح التغيير بالمشرق العربي فجعلته الأمين على روح المحافظة بتعطف نحو التجديد، والمهجريون بطبعهم على استعداد لتقبل الجديد من الأفكار الغربية والانسياق في تيارها لم يتسم الأدب بهذه الخصوصية إلا بتضافر الشكل مع المضمون في إظهار قيمته واستمرار تأثيره في الناس[1].

مما أدى إلى ظهور عدّة نزعات في الشعر المهجري ، ترجع إلى الفنون هذا الشعر وأغراضه وخصائصه الموضوعية الأسلوبية التي تعكس نفسية وعقلية مختلفة عن نظيرتها في الوطن العربي، وفي الشعر العربي الحديث ولعل أهم الخصائص التي يتسم بها المضمون عند المهجريون هي:

1. خصائص الشعر المهجري من حيث المضمون:

أ. النزعة التأملية الفكرية العميقة:

ظهرت هذه النزعة قديما وبملامح بسيطة عند شعراء الجاهلية ومنهم الشاعر "امرؤ القيس " كما برزت بشكل جلي عند أبي العلاء المعري والمتنبي إلاّ أنها وفي الشعر المهجري الحديث أحدث شكلا مميزا يختلف عن الأشكال السائدة في أشعار المحدثين العرب خليل مطران والعقاد[2] فالمواضيع التي وظفت في الشعر التأملي المهجري تدور كلّها في موضوع التساؤل حول الحياة والموت ، وتفسير سر الوجود وهو ما لمسناه في قصيدة المواكب لجبران خليل جبران ، فحاول الشاعر أن يصل إلى صميم الحياة من خلال مجموعة صور اعتمدت على لفظ الطبيعة كأداة في هذا الكون[3].

---

[1] نظمي عبد البديع محمد، أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب، دار الفكر العربي، ص108.

[2] ينظر محمد عبد المنعم الخفاجي، قصة الأدب المهجري ، ص151.

[3] المرجع نفسه.

وقد اتخذت النزعة التأملية الطبيعة ومظاهرها أدوات فعالة في بيان مظاهر هذا الوجود المختلفة (الغابات ، النجوم، الفجر، الماء.....الخ) ووقوف النفس والذات بينهما حائرة إلى أن تميل (روح، جسد، الثرى....الخ)وكلها مظاهر لغوية أسلوبية توحي بالحركة النفسية الدؤوبة إلى مناقشة أسرار الحياة والبحث في تعابير اللغة الفنّية عن حقيقتها وموقف الذات منها[1].

فقد اتجه المهجريون إلى الحياة يتأملون فيها ويعالجون مشاكلهم ، فأدبهم مشغول بالحياة وجميع مقوماتها متفاعل كل التفاعل وحدانيا و فكريا بصورة إيجابية ، فواقع الحياة ليس بعيداً عن مضمون الأدب المهجري فهذا الأدب يؤمن بواقع الإنسان الخيّر وتحاول أن تروضه طباعه ولا تفقد الثقة فيه[2].

ب.النزعة الإنسانية:

وهي نزعة برزت بروزاً شديداً من خلال التعبير عن موضوعات إنسانية تربط بمظاهر الحنين إلى الأصل والجذور والوطن، كما ترتبط بالكبرياء وكذا الكفاح في سبيل الحياة والبكاء والألم والعزاء ، تتعدى إلى تقديس النفس البشرية ، واللجوء في بعض الأحيان للتعبير عن الذات من خلال المرأة والأمثلة في ذلك كثيرة عند سائر الشعراء المهجريين فمن خصائص هذه النزعة التعبير عن الانفعالات النفسية والتعبير الصريح عن ذات الشاعر ، وبه تتضح نزعة الكبرياء، كما عبروا أيضا عن الغربة والقلق والحنين من خلال مفردات (النفس ، الدمع، الفؤاد الروح) فهي جوار إنسانية ثابتة في أشعار المهجريين بكثرة ، فيلجأ الشاعر أحيانا إلى التعبير عن هذه العواطف بصراحة فيستخدم مفردات الحنين والشوق والغربة والشكوى[3].

[1] ينظر محمد عبد المنعم الخفاجي، قصة الأدب المهجري ، ص151.

[2] المرجع نفسه، ص146.

[3] ينظر محمد عبد المنعم الخفاجي، قصة الأدب المهجري ، ص152.

فها هو إيليا أبو ماضي ينافس الصراع البشري ومعاناة الإنسان مع أخيه الإنسان فيقول:

كُنْ بَلْسَماً إنْ صَارَ دَهْرُكَ أَرْقَماً وَحلاَوَةٌ إنْ صَارَ غَيْرُكَ عَلْقَماً .
إنَّ الحَيَاةَ هَتْكَ كُلَ كُنُوزِهَا لاَ تَبْخَلَنْ عَلى الحَيَاةِ بِبَعْضِ مَا....
أحْسَن وَإنْ لَمْ تُجْزَ حَتَى بالثَنَا أيّ الجَزاءِ الغَيْثُ يَبغِي إنْ هَمَى؟[1].

ج. النزعة الصوفية:

ظهرت النزعة الصوفية في الذات المهجرية ظهوراً محتشماً عند جلّ الشعراء المهجريين، إلا أن بعضهم ركز عليها واتخذها ملاذا للفرار عن هواجس الحياة وآلامها ، وقد عبر هؤلاء الشعراء عن هذه النزعة بأساليب مختلفة تختلف باختلاف الأمزجة والطبائع فمخائيل نعيمة ألبس نفسه ثوبا من الجلالة لأنها من صنع الكمال الرجاني إذ قال:

إيه نَفْسِي! أنْتَ لَحْنٌ في قدرنّ صداه
وَقْعَتَكَ يُدْفِنَان خفيّ لا أراه[2]

كما يرى في النفس البشرية وحدة قدسية ، وضع رباني واحد ، بل هناك وحدة أسرية قدسية، لا تدرك ولا توصف تتلاشى في البدايات والنهايات وهو ما يراه إيليا أبوا ماضي في النفس من وحدة روحية وجوهر نقيّ متعلق بالخالق حيث يقول:

كلُّ منَ قد لَقِيتُ مِثْلكَ يَا نفسُ في مَا تَبْدِينَ وَتُخْفِينَا
فَانْظُرِي مرةٌ إليكِ مَلِيَا تبَصَري الأولِينَ والآخَرِينَ[3]

إنّ ما يميز الذات الصوفية في شعر المهجريين اعتمادهم على بعض الحقائق الصوفية التي وظفت في أشكال فنّية متميزة أهمها:

- الإيمان بفكرة التوّحيد بين الروح والجسد في وحدة إنسانية تعود إلى قوة ربانية.
- الإيمان بفكرة لتفادي الروح الإنسانية ، وسعى الإنسان إلى الحفاظ على هذا النقاء .

[1] أسعد بن عبد العطوي الأدب العربي الحديث،ط1، 1شوال 1430هـ/2009م، ص127.
[2] إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة ص556.
[3] ينظر محمد عبد المنعم الخفاجي، قصة الأدب المهجري ، ص151.

- اللجوء إلى توظيف المظاهر الكونية الطبيعة ، ومحاولة الاندماج بها اندماجاً تاماً لتحقيق فكرة التطهر والنقاء ، وكلها أفكار ومظاهر ساعدت الذات المهجرية على خرق الخصائص الشعرية المتداولة إلى حقائق فلسفية تعتمد على اللغة المثلى التي ترقى بالخيال والوجدان[1].

الحنين إلى الوطن والشعور بالحزن:

"يكثر في الشعر المهجريين مشاعر الحنين إلى الوطن الأم، ويتألمون لما يصيبه من كوارث والسبب في ذلك شعورهم بالغربة وهم بعيدون عن أوطانهم فينشأ عنهم وضع جديد ، يتوقف فيه المهاجر عن استعادة الوطن من ذاكرة الطفولة ويبدأ بالتفكير فيه بعقل الرجل المسؤول ، فيحل عنه الألم الوطني مكان الألم الشخصي ، فكانت الطبيعة عند الكلاسيكي طبيعة صماء خرساء، حتى جاء الرومانسيون بحسهم المرهف وعواطفهم المتأججة ، فبعثوا فيها روح الحياة من خلال وصف مناظرها الخلابة معبرين بشعرهم عن أحوالها وأسرارها ، وأصبحت عندهم ملجأ للعزلة ، ومستقراً للطمأنينة ، وتحقيقاً لآلامهم وتحقيقاً لأحلامهم هروباً من قيود المجتمع ومشاكله"[2].

فالشعر عند المهجرين تجربة ولوح بما في الداخل من أحاسيس وعواطف وخواطر ، يشكون الحزن والكآبة فيرونها كآبة تفوق كل وصف وتتجاوز كل حد ، حتى أصبحت علامة فارقة ليس في عالم الحزن تحسب بل في عالم الزمن أيضاً ، حيث يقول الشابي عن الكآبة «أنا والليل كئيبانه وفي قلبينا شعلة من تلك الكآبة الصامتة المتغنية، في قلبي الحياة بأحزان بشرية المعذبة، وعندما يسكن الليل وتخمد أصوات الزمن تتصاعد من أحشاء الظلام عويل»[3].

فالكآبة ليست قابلة للزوال ، إنما هي باقية خالدة في نفسه خلدوها أيدي وكآبته في المذاق مرة الطعم، وفي السمع لا يكاد يسمح صراخ روحه غيره، فهي كآبة لا يسمعها الجسد وإنما تسعها الروح[4].

---

[1] المرجع نفسه، ص147.

[2] قريش بن علي ، موضوعات الشعر العربي لحديث الشابي أتموجاً ، 2001-2002، ص51.

[3] أبو القاسم الشابي، الأعمال الكاملة ،ج2، الدار التونسية للنشر بمطبعة القومية للنشر بتونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص16.

[4] إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة للنشر والتوزيع،ط2، 2007، ص176.

2. خصائص الشعر المهجري من ناحية الشكل:

أ. الرمز:

يعتبر التعبير الرمزي أحد أهم المظاهر الرؤية الشعرية عند شعراء المهجر فالرمز صورة مركزة للصورة الشعرية يتح للشاعر اختصاره صورة في قوالب لفظية مركزة يختصر بها عالمه الخارجي والداخلي، فقد خص الشاعر المهجري المشاعر الإنسانية برموز من الطبيعة الحية في مظاهرها المادية والمعنوية، واتخذ أيضا القوالب القصصية للتعبير الرمزي بما تحويه من حواء، وهو ما جسده إيليا أبو ماضي بقوة في قصائد (الطين ، الحجر، الصغير التينة الحمقاء أما بقية الشعراء فقد نوعوا استخدام الرمزي الطبيعي ووضعوه عناوين لقصائدهم الكثيرة[1].

ولقد تأثر شعراء المهجر كغيرهم من الشعراء المحدثين بالتيارات الغربية وآدابها فدعوا إلى التجديد، والنزوع والرمنتيكية والرمزية من أجل الإفصاح عن الحقائق النفسية والشعورية في أنماط تعبير حرّة ويعد جبران خليل جبران أول من تكلم بالرمزية وخاض فيها تجارب من الغموض الآخرين إلى الإقتداء به واعتماد رمزيته الشفافية البعيدة عن الغموض والتغريب وبذلك يعتمد الرمز على التجريد الكلي المحسوس، بل على الإسراف في اعتماد المجاز مما يكوّن هيكلا قصصيا رمزيا يحمل فيها شخوصا وأحداثا كرموز الأفكار المبدع ومشاعره[2].

ب. الوزن والقافية:

لجأ الشعراء المهجريين إلى التنويع في القافية بالقصائد ذات البحر الواحد وقسموا هذه القصائد إلى مقاطع منفصلة ،(والدير بالفكر) مكن الشاعر من التنويع النغمي للقصيدة مما يؤدي إلى التنويع في القافية بين كل مقطع وآخر وهذا لا يجهد الشاعر بإتباع قافية معينة قد تدفعه إن طالب القصيدة إلى ضرورة اختيار غير موفق مما يجعله ينوع في القافية حيثما يشاء.

[1] محمد عبد المنعم الخفاجي، قصة الأدب المهجري، ص182.

[2] عبد الباسط محمود، دراسة في لغة الشعر عند إيليا أبو ماضي ص457.

يقول إيليا أبو ماضي:

مَاتَ النَهْر ابنْ الصَبَاحِ فَلاَ تَقُولِي كَيْفَ مَاتْ.
إنْ التأمُل فِي الحَيَاةِ يَزِيدُ أوْجَاعُ الحَيَاةً.
فَدَعِي الْكآبَةَ وَالأسى واسترْجعِي مرحُ الفَتَاه.
قَدْ كَانَ وَجْهِكَ فِي الضُحَى مِثْلَ الضُحى متهلّلا.

فقد مزج إيليا أبو ماضي شعوره بمساء رومانسي وإحساسه، وتحاور فيه مع الطبيعة والحياة"[1].

لذا احتفظ شعراء المهجر بنظم القافية القديمة.

أما الوزن فقد تميز بإيقاع متسلسل، ونبرات خاصة متحركة وساكنة ، وينشأ من هذا النظام الإيقاعي انسجام وتوافق وتوقيع، وهي موسيقى الشعر ومصدر جماله ومن هنا ننظر إلى الوزن الشعر، كإطار يعد الشاعر من خلاله عن الحالة العامة وليس عن جزيئات الحالة، وذوق الشاعر اختيار الوزن المعين من الأوزان الشعرية [2].

وهكذا حافظ شعراء المهجر على روي القافية مع شكلها الإيقاعي وشكلها الحر في ظل الوزن الواحد داخل المقطع مع الانتقاء إلى وزن آخر داخل المقطع نفسه، ومن ثم التوزيع في الروي مع الحفاظ على الشكل الخارجي والإيقاع الداخلي للقافية ومثاله قصيدة المواكب جبران خليل جبران[3].

ج. السهولة والوضوح في اللغة:

"ترتب على التطور اللغوي أن وجدنا المهجريون يعبرون بألفاظ هي غاية في الجمال والرقة والغنائية ، وكان لها بالغ الأثر فر رشاقة العبارة التي تميزت بالبساطة بحيث تؤدي المعنى في أبسط صورة وأيسرها، لأنّ اللغة هي الأساس في كل عمل فني يستخدم الكلمة أداة للتعبير، والصورة التي تحوي جوهره وتعطيه الشكل المميز الذي تتبدى هيأته، وتظهر كيانه فلها في ذلك الأهمية التي لا ننكر"[4].

[1] إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص620-628.
[2] ينظر عبد الرحمن تيرماسين، العروض وإيقاع الشعر العربي ص37.
[3] عدنان حسين قاسم الاتجاه الأسلوبي، ص181.
[4] نظمي عبد البديع محمد، أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب، دار الفكر العربي، ص106.

فما هو إلياس فرحات ينتقد زي المرأة في عصره بالألفاظ البسيطة والسهلة فيقول واصفاً وساخطاً على مظهرها فيقول:

فَثَوْبكَ يَوماً كَجِلْدكَ لَوْلاَ بُرُوز النُهُود عَدَدْنَا الضُلُوعَا.
وَيَوْماً بِشَكْلِ قَمِيْص يَسُوع وَسِيْعاً وَحَاشَا قَمِيْص يَسُوعَا.
وَيَوْماَ تَرَاهُ كَثِيرُ الثنَايَا وَيَوْماً بِبَعْضِ الثنَايَا قَنُوعَا.

التعبير عن تجربة شعورية ذاتية:

يكون الشاعر المهجري قد مّر بها في غربته، ويظهر عمق التعبير عن هذه التجربة عندما تمتزج مشاعرهم بالطبيعة أو الإنسحاب إلى داخل النفس أو التفكير في ما ورد الطبيعة أو الحديث عن أشجان غامضة واضطراب وتصوير لعواطف الحنين ، وكلّ هذه المعالم ارتسمت في الشعر إلى التعبير عن تجربة شعورية بأشكال مختلفة وألفاظ مبتكرة وصور بديعة[1].

الوحدة العضوية:

المتمثلة في وحدة الموضوع ووحدة الجوّ النفسي لدى الشاعر المهجري، وترتيبه للأفكار والصور في بناء متماسك، وهي ظاهرة أكثر في الشعر القصصي كالحجر الصغير والتينة الحمقاء لإيليا أبو ماضي[2].

[1] ينظر، أنس داود التجديد في شعر المهجر، ص138.
[2] المرجع نفسه، ص140.

المبحث الثالث:أهم مدارس الشعر المهجري.

إن مدرسة المهجر من أهم المدارس التي قامت على أيدي أدباء العرب الذين هاجروا من بلاد الشام إلى أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية،حيث كانوا فيها جمعيات وروابط ومدارس أدبية لعلّ أهمها مدرسة الرابطة القلمية والعصبة الأندلسية، فالأولى تأسست في المهجر الشمالي الثانية في المهجر الجنوبي.

المطلب الأول: مدرسة الرابطة القلمية.

تعتبر هذه المدرسة واحدة من أهم المدارس الشعرية التي نبعت من صميم لدى المهجريين إلى فقد كانت بدايتها في أوائل العقد الثاني من القرن العشرين ولكن لم يدع صيتها آنذاك وقد كان خافتا ضئيلا لا يحس به أحدنا فمنذ أوائل العقد الثالث طارت شهرتها إلى كل أنحاء العالم الجديد وفي كل مكان من الوطن العربي الكبير وقد ظهرت تحت جناح مدرسة الأدب المهجري الشمالي والذي كان موطنها الولايات المتحدة الأمريكية ، بحيث كانت أبرز نشاطا وأضخم أثراً وأوسع أفقا وأشدّ اتصالا بالثقافة ، والحضارة الإنسانية وأكثر تحرراً وانطلاقا من قيود القديم[1].

ويعود هذا التطور لرابطة القلمية والتي تعد من الجماعات الأدبية التي تنسب إلى القلم، الذي شرفه الله تعالى بالذكر في القرآن الكريم، والذي يعتبر أداة الفكر ووسيلته في كل زمان ومكان والذي عمل لواء الحضارة والتقدم والمدنية، فهو سلاح الشاعر والأداة التي يدافع بها عن مستحقاته واحتياجاته وبهذا يمجد القلم عن حامله كيفما كانت صفاته[2].

فقد تأسست مدرسة الرابطة القلمية في 20 نيسان 1920 في منزل صاحب جريدة السائح عبد المسيح حداد وبعد ذلك تألفت في 28 نيسان في منزل جبران خليل جبران فجبران خليل جبران كان رئيس للرابطة القلمية وعميد الأدباء المهجر بالإضافة إلى مجموعة من الشعراء الذين ناصروها من أمثال (رشيد أيوب، الذرة حداد ميخائيل نعيمة ،إيليا أبو ماضي ، نسيب عريضة ، أمين مشرف، ليث سعيد أغريب) وقد استجابوا جميعا لفكرة قيام الرابطة القلمية[3].

---

[1] محمد عبد المنعم الخفاجي، قصة الأدب المهجري، دار الكتاب اللبناني، بيروت،د،ط1986، ص 328.

[2] المرجع نفسه، ص82.

[3] عيسى الناعوري، إيليا أبو ماضي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ط، 1 مارس 1958، ط1977،2، ص20.

حيث كان لهذه المدرسة مجلة ألا وهي "مجلة الفنون" لنسيب عريضة ولهم جريدة السائح ومن هنا حمل جبران خليل جبران دعوة إلى التجديد التي تكاد أن تكون منطلقا إلى الحداثة ، فهي رومانية وجدانية مستمدة من إنسانية الإنسان ومشاعره ووجدانه، ومن مظاهرها التساهل الديني والتمرد على الدين النصراني والإسلامي بل التمرد على اللغة وأوزان الشعر[1].

وشعراء المهجر وأدباؤه يرون أن التقيد بالقوالب الجامدة يعوق خيال الإنسان عن الانطلاق ويقيد مشاعره فلا تخلق في أفاق التأمل فيما حولهما من ظواهر وقيم، ويرد عليهم عزيز أباظة قائلا أنّ لغة الشعر يجب أن تتسلح عن لغة الخطابة وأن التأمل في الحقائق الكونية فتعجز الألفاظ عن تأديته أصدق الأداء[2] ولقد أمن المهجريون بما وراء الألفاظ من دلائل وأسرار ، فعرفوا أنّ اللغة ليست نظاما جافا فنعيمة يؤكد لمفردات لغتنا التي نستخدمها في إبداع أدبنا شعراً ونثراً خصائص وميزات عجيبة يقول ميخائيل نعيمة:

أسيْرٌ فِي طَرِيقِيْ فِي مُهِمَةٍ سَحِيْقْ.
وَوَحْدَتِيْ رَفِيقِيْ وَوَجْهَتِيْ الفَضَاءْ.
مِطْيَتِي التُرابْ وخَوْذَتِيْ السَّحَابْ.
وَدِرْعِيْ السَرابْ ورَائِدِيْ القَضَاْ.

القصيدة تفصح عن تجربة قاسية عاشها الشاعر تتمثل في حيرته وصراعه ومع نفسه وقد نجح الشاعر في التعبير عن تجربته وأعطى القصيدة وحدة فنية وعضوية ، ولقد هاجم شعراء هذه الرابطة اللغة حيث لم يكتبوا باللغة التي يتبعون سيادتها ، بل بلغة عربية ليبقى نتاجهم ويهلك الآخرون ودعوا إلى الشعر المنثور، وكان لأدب جبران خليل جبران رواج عظيم في البلاد العربية لقوة أسلوبية ودعوته إلى الحرية البراقة التي تجذب الانتباه حيث كان العالم العربي ينقل أقواله في إعجاب وإكبار لجمعية الشعر الأمريكية[3].

[1] الشعر العربي في المهجر، تصدير عزيز أباظة ، ص 19.

[2] الغربال، ص61.

[3] ديوان همس الجفون ، ميخائيل نعيمة.

ولقد اتبعت الرابطة القلمية اتجاها أدبيا يبحث فيما وراء الأشياء ولا يكتفي بالقشور في الشعار الذي قام بتصميمه جبران خليل جبران ووضع معه هذه العبارة"**لله كنوز تحت عرش مفاتيحها ألسنة الشعراء**"وأعلنوا رأيهم في الأدب حينما قالوا الأدب هو الذي يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها ، وهوائها ، والأديب هو الذي خص برقة الحس ودقة التفكير بعد النظر في تموجات الحياة وتقلبا وبمقدرة البيان كما تحدثه الحياة في نفسه من تأثير[1].

وحيث أحدثت هذه الرابطة تأثيراً كبيرا في نهضة الشعر العربي بالمهجر كما أحدثت ثورة في كل مكان ، وصدرت هذه الرابطة أعمال أدبية توضح إلى حد بعيد مدى إغراق المهجريين في التأمل في كل مجالات الوجود وما وراءه والنفس الإنسانية والطبيعة ، وما وراءها وكان للشماليين في هذه النزعة الباع الطويل وفي مقدمتهم ميخائيل نعيمة بشعره ونثره[2].

فلقد اتخذت الرابطة القلمية من الأدب رسولا لا معرضا للأزياء اللغوية ولقد تكون مخطئة فيما معتقد ولكن إخلاصها في الأقل يشفع بخطئها فهي لا تدعى لهذه المجموعة أكثر مما تستحق فإن لم يكن لها إلا تشويق بعض الأرواح الناشئة إلى طرق الأدب عن سبيل المعجمات فحسبها ثوابها[3].

ومن خصائص التي اعتمدتها هذه الرابطة :

- الثورة التقليد بوجه عام.
- التمرد على الدين والواقع.
- النزعة الإنسانية في شعرهم والالتحام بين الناس والطبيعة والتجديد في الصياغة.

وظلت هذه الرابطة إلى عام 1931م ثم تبعثرت بوفاة جبران خليل جبران وعودة ميخائيل نعيمة إلى لبنان[4].

[1] جبران ميخائيل نعيمة، ص182.

[2] د.حسن جاد، الأدب العربي في المهجر،ص 63.

[3] ميخائيل نعيمة، الغربال، ص27-28.

[4] عبد الدايم ، أدب المهجر ، ص 19.

المطلب الثاني: مدرسة العصبة الأندلسية.

بعد أن أذنت شمس الرابطة القلمية بالمغيب حتى سطع هلال العصبة الأندلسية في الجنوب ، وكان قيام العصبة الأندلسية في "سان باولو" سنة 1933م وكان صاحب فكرتها **شكر الله الجر** الذي وجد عند ميشال معلوف الاستعداد للتنفيذ لتقويم العصبة مقام الرابطة التي انقضت من الشمال[1].

وقامت هذه العصبة لتجديد طبيعة الشعر العربي ولكنفي هدوء وفي غيرها عنف أو ثورة كما أنها لم تجعل من أهدافها قطع الصلة تماما ليس الشعر الحديث والشعر العربي القديم بل كانت على العكس من ذلك راغبة في بقاء شيء من القديم يصل الماضي بالحاضر ولا يقطع العرب المحدثين عن التراث الفكري لآبائهم الأقدمين[2] ومن أعضاء العصبة البارزين: **فوزي المعلوف ورياض المعلوف وشفيق المعلوف وإلياس فرحات والقروي وشكر الله الجر**، وكان لهذا لهذه العصبة دو في التأمل وإن يكن مخالفا لمنهج الرابطة القلمية ، فينما كان طابع الشماليين التأمل والحيّرة، كان طابع الجنوبيين الدعوة إلى تهذيب الواقع وتعميق الإحساس القومي والحنين إلى أرض الوطن والتفاخر بالمآثر العربية والأمجاد القديمة ولا يمكن أن نغفل مطولة فوزي المعلوف " **على بساط الريح**" و"**شعلة العذاب**"[3].

والأخيرة لم تتم ومطولة شقيق المعلوف "عنفر وأحلام" ومطولة إلياس فرحات أحلام الراعي ووقفة "شكر اله الجر" عند "شلال تيجولى" و الربيع الأخير للقروي ورباعياته الموجودة بديوانه وغيرها من القصائد التي تزخر بإثارة مشكلات الحياة وهموم الإنسان[4].

---

[1] د.محمد مصطفى هرارة ، التجديد في شعر المهجر ص52.

[2] صايم عبد الدايم، أدب المهجر، ص20.

[3] وصلتي مخطوطة لهذه المطولة بخط يد شقيق الشاعر وهو الشاعر رياض معلوف.

[4] ينظر ، صايم عبد الدايم، أدب المهجر، ص21.

ويمكن القول أن موقف الشماليين هو الهروب من الواقع وعدم القدرة على مجابهته أو الثورة عليه وتحديه والرغبة في التغيير وغالبا ما تتأى عنهم أمانهم، أمّا موقف الجنوبيين فهو دائما المواجهة والتصدي ومحاولة التغيير في هدوء والتسليم أحيانا بالواقع المفروض[1] فنعيمة يقول في حيرة:

أطْلَقْتُ قَلْبِي عِنْدَ الغُرُوبِ.
لِيَتَسَنْى مَعَ القُلُوبِ.
فَعَادَ قَلْبِي بَعْدَ الغُرُوبِ.
يشْكُو إِنِّي ثُقْلَ كُرُوبِي[2].

وهذا الشعر كثيرا ما سيطر على نعيمة ويلازمه هذا الشعر ويتكاثف حتى يتخيل الحياة قبوراً تدور.

وشقيق المعلوف هو من أدباء الجنوب أي العصبة الأندلسية يقول وهو يقابل الحياة متحديا همومها:

وحَجَبْتُ عنْ أَهْلِ الْحَيَاة دُمُوعَهُمْ وَدُرْتَ عَلَيْهِم بالرَّحيقِ المبرَّد
أَقُولُ لِنَفْسِي إِنْ تَنَهَدْتُ فَازْفُرِي رُوَيْداً عَلَى جَمْرِ الْعَذابِ المُرْمِد.
وَعَضَى بَيْنَ الْبَشَرِ ثَغْرُكَ وَاتْحَرَى عَلَى شَفَتَيْهِ زُفْرَةَ المُتَنَهِد[3].

وقد يخضع أدباء الجنوب ويستسلمون بل ويرحبون بمآسي الحياة و قلوبهم تطفح بالمرارة فترى قد ضل يقول:

وَيْحُ قَلْبِي قَسَتْ عَلَيْهِ اللَيَالِي وَهُوْ راضٍ بِمَا يُلاَقِي ، سَعِيدُ.
أُلِفَ النّارَ فَهِيَ بَرْدٌ عَلَيْهِ كُلَما مَاتَ وَقُدُهَا يَبْقَيدُ.
يَحْتَفِي بالهُمُومِ مَا إِنْجَابِهِمْ عَنْهُ إلاَّ تَلاَهْ هُمْ جَدِيدُ[4].

فمثل هذا التصور للحياة لا يعمق مفهومها ولا يساعد موكبها على الاستمرار.

[1] صابم عبد الدايم، أدب المهجر، ص21.
[2] ميخائيل نعيمة ، همس الجفون ، ص65.
[3] شفيق المعلوف: نداء المجاديف ص84.
[4] مجلة الأدب ص12 من قصيدة الشامخ لزكي قنصل.

ولقد عاشت هذه الرابطة عشرين عاما، وهي أكثر محافظة من الرابطة القلمية من ناحية الاتجاه الوطني والشعري من حيث الأوزان والقوافي ، ومن حيث ميزاتها أن شعراء هذه المدرسة كانوا أكثر ميلا إلى التراث بحيث الشعراء الذين ينتمون إلى المهجر الجنوبي أكثر من الذين ينتمون إلى المهجر الشمالي وهم أكثر تعاونا فيما بينهم وأعظم انتماء إلى وطنهم وفكرهم تآزروا على نشر دواوينهم[1].

والعصبة الأندلسية أقوى لغة وأمنت أسلوباً وأفخم ألفاظا، وهذا في مجمل شعراء الرابطة ، فشعرائها يتفاوتون في أشعارهم، فقد استمدوا شعرهم ن صميم الحياة وقريب التأثير وكان الوصف عندهم يتعلق بالطبيعة ، كما أنهم أقل تأملا من شعراء الرابطة القلمية[2].

وقد أصدرت العصبة مجلة باسمها وكان يرأس تحريرها "حبيب مسعود" وكما انتهت الرابطة القلمية ، انتهت العصبة الأندلسية بعد أن تفرقت مجلتها ولم يبق منها سوى أثارها وروائعها الناطقة ، لكن بالرغم من هذا إلاّ أن الأدباء لم يستسلموا وأسسوا روابط جديدة تعبر عن مواهب المهجريين وعن آرائهم ونقل أصواتهم النائية المشوبة بأنين الغربة وأصداء الحنين إلى بلادهم وبلاد العالم كله[3].

"ومما قلناه وذكرناه عن الرابطة القلمية ، فإننا نستنتج بعض الفروقات بين هذين المدرستين لعل من أهم أن أدباء الرباطة القلمية أحصي خيالا وامتنع قناعنا من التعبير المباشر الذي لجأ إليه أدباء العصبة الأندلسية ، وأدباء الرابطة القلمية يختلفون عن العصبة الأندلسية في العقيدة القومية أي أعضاء الرابطة لا ينادون بالقومية العربية ولا يتعصبون لها مثلما يحنون إلى لبنان ويشتاقون للعودة إليه. فأدباء الرابطة القلمية كان اتجاههم وطنيا، أما العصبة الأندلسية فقد كان اتجاههم قوميا عربيا، فأدباء الرابطة وإن تثيروا التعصب دينيا وعربيا"[4].

[1] مسعد عبد العطوي، الأدب العربي الحديث ، ص83.

[2] المرجع نفسه.

[3] صابر عبد الدايم، أدب المهجر، ص23.

[4] د. صابر عبد الدايم، أدب المهجر، ص105.

"إلاّ أنهم يفلتوا من شرك التعصب للوطن والحنين له، أما العصبة فقد اصطبغت بأشواقهم البعيدة النائية المهاجرة بالحماسة القومية والعصبة العربية، فالمهاجرون وجدوا أنفسهم في الجنوب بين أقوام لا يفوقونهم رقيا وعزما فكان ذلك من أسباب بروزهم كعنصر يفاخر لماضيه والفرق بين الطابعين الشمالي والجنوبي في هذا الاتجاه يرجع إلى اختلاف البيئة وليس من الغريب أن يتجه بعض المهجريين لهذه القومية لأنه الحضن وإن امتد خارج دائرة شجرته إلا أنه يظل في حنين دائم إلى جذوره التي تهبه عناصر لحياة يقول القروي:

إني على دين العروبة واقفُ قَلْبِي على سَيْحاتِهَا وَلِسَانِي.
انْجَلِي الحُبَ المُقِيمُ لأَهْلِهَا والذُودُ عَنْ حُرْمَاتِهَا فُرْقَانِي[1].

ويولي المهجريون دفاعهم القومي محاولتهم لاكتشاف لداء الوطن الأم لتخليصهم من وباء يعاني منه، فذهبوا ذلك كل مذهب وفق ما يصوره لكم منهم وذلك لقلبهم المغمور بحب الوطن والولاء للوطن المشرقي الأم"[2].

" حيث أهتم شعراء الرابطة القلمية بعاطفة الحنان الأسري ، وخاصة موضوع الأم، وأسهموا بذكرها ، ووصفها ، ووصف نفسيتهم إزاء فهذا إيليا أبو ماضي يبكي مع أمه الحزينة أخاه" **لمانيوس طاهر أبي ماضي**" وقد مات شابا أي يقول:

فَيَا لَهْفِي لأُمكَ حِيْنَ يَدْوِي نَعْيُكَ بَعْدَ مَا طَالَ السُّكونْ.
ستُبْكِيكَ الكَوَاكِبُ فِي الدَّياجِي كَمَا تُبْكِيكَ فِي الرَوْضِ الغُصَونْ.
ويَبْكِي أَخُوهُ غِبْتَ عَنهُمْ وَأُمٌ تأكَلُ وَأَبٌ حزِيْنْ[3].

[1] المرجع نفسه .
[2] د. نظمي عبد البديع محمد، أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب دار الفكر العربي، ص559.
[3] إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة ص556.

ولم يغفل الشعراء المهجريون من الرابطة القلمية عواطف أخرى، فهذا جبران خليل جبران نراه ساخط مدينا للظلم وأشكاله في المجتمع فقد سخط من رجال الدين من المسحيين الدين اتخذوا لمن لديه تجارة إذ يقول:

وَالْدِينَ فِي النَّاسِ حَقْلُ لَيْسَ يَزْرَعُهُ عَبَرَ الأَلَى لَهُمْ فِ زَرْعِهِ وَطِرْ.

أما الشعراء العصبة الأندلسية فاهتمت بالفئات الاجتماعية التي تحيط بهم ، وبينوا مواقفهم إزاء هذه الفئات في نماذج شعرية مليئة بالعواطف والأحاسيس ، وترجمت معالم نفسية والحنين لديهم أغنى وأغزر من الرابطة القلمية وربما لأسباب اجتماعية وتاريخية تعود إلى تموج الشعر المهجري بعد 1932م.

وهذا شقيق المعلوف تحت وطأة الهجرة وهو يترك أمه يوهنه فيقول متألماً:

وَغَادرِ عِنْدَ صَخْرِ الشَط أمَّا تَذُوبُ إلَيْهِ بحَنَانًا وشَوْقاً.
فَمَا نَصَبَةْ لِمُقْلَتِهَا دمُوعٌ كأنْ لِعَيْنِها فِي البَحْر عرْقاً[1].

[1] ينظر محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري، ص350.

الفصل الثاني:
النزعة التأملية عند جبران والشابي دراسة مقارنة

المبحث الأول: النزعة التأملية.

يتجلى حضورها وتتبدى أثارها واضحة من خلال قول ميخائيل نعيمة«**الشعر ميل جارف، وحنين دائم**» إلى الأرض لم نعرفها وهو انجذاب ابدي لمعانقة الكون بأسره والاتحاد مع كل ما في الكون ...والإجمال فالشعر هو الحياة باكية وضاحكة وشاكية [1].

هنا تظهر الدقة والخبرة في ثوب مهجري خاص

هذا وتبلور رقصة التأمل في قول إيليا أبو ماضي:

أُفَكِّرُ كَيْفَ جِئْتُ؟ وَكَيْفَ عَلَى رَغْمِي فأعيَا بالجَوَاب .
وأَتَيْتُ وَلَمْ أدْرِي مَجِيءْ وَأَذْهَبُ غَيْرَ دَارٍ بِإِيَابِ[2].

لعلها روح التساؤل ألحت على الشاعر فجاءت فريحته بالبيتين السابقين فلقد استحوذ التفكير التأملي على الاهتمام كثير من المربين بكتاباتهم في علم النفس التربوي مثل بينيه وجيمس وديوي ، لكن الاهتمام بهذا المصطلح من الدراسات التي تناولها علم النفس التربوي خلال ازدهار المدرسة السلوكية وبقي الحال على ذلك حتى مطلع الثمانينات من القرن الماضي وعندما جاء شون المشار غليه في مصطفى 1992 بين التفكير التأملي.

[1] ميخائيل نعيمة، "الغربال" الطبعة العصرية ، القاهرة ، ط12، 1981، ص76.

[2] مصطفى السوفي ، تاريخ الأدب العربي الحديث، الدار الدولية لاستثمارات الثقافية، القاهرة مصر ، ط1، 2008، ص189.

المطلب الأول: مفهوم التفكير التأملية

يرجع الأساس النظري لمفهوم التأمل عام 1933 عندما عرف جون ديوي التأمل على أنه النظر إلى المعتقدات بطريقة فعالة وثابتة ومتأنية وأية شكل من أشكال المعرفة المفترضة القائمة على أرضية داعمة ونتائج متوقعة.

يرى ديوي أن الشخص المتأمل هو الذي يشك دوما في أهدافه وأفعاله ويسأل عن مدى صحتها ، وهو الذي يستعرض أفعاله ويأخذ بعين الاعتبار الآثار الغربية والبعيدة[1].

ويرى روجرز "أنه بالرغم من أن الدعوة واضحة للاهتمام في التفكير التأملي إلا إنه من الصعوبة تمييز ما هو التفكير التأملي إذ يوجد أربع صعوبات مرتبطة بنقص تعريف التفكير التأملي وهي:

1. من غير الواضح اختلاف التفكير التأملي عن أنواع التفكير الأخرى.
2. من الصعب البحث في التفكير التأملي دون إحساس واضح بما يقصد الله.
3. من الصعب الحديث عن التفكير التأملي دون صورة واضحة لما يبدو عليه التأمل[2].

[1] جون ديوي، ينظر ،أكرم صالح محمود خوالدة، التقويم اللغوي في الكتابة والتعليم دار ومكتبة الحامد ، عمان ،ط1، 2012، ص173.
[2] روجرز، ينظر، المرجع نفسه، ص175.

المطلب الثاني: المدلول اللغوي والاصطلاحي للتأمل وتطوره.

إن البحث عن المدلول كلمة التأمل اللغوي في المعاجم المختلفة تبين أنها لا تخرج عن التمهل والأناة في النظر إلى الأمور ففي المصباح المنير:

تحت مادة أملته أملا يقول المؤلف : أملته أملا من باب طلب : ترقيته وأكثر ما يستعبد حصوله قال كعب بن زهير: " أرجوا وأمل أن تدنو مودتها ، ومن عزم على السفر إلى بلد بعيد يقول: أملت الوصول ولا يقول طمعت إلا إذا قرب منها، وتأملت الشيء إذا تدبرته وهو إعادتك النظر فيه مرة بعد أخرى حتى تعرفه[1] وفي مختار الصحاح: لا يتعدى مفهوم الكلمة كثيراً عن المعنيين السابقين يقول المؤلف "أمل".

الأمل: خير، يأمل بالضم أملا بفتحتين وأمله وتأمل الشيء نظر إليه مشينا له[2].

من خلال هذه التعريفات اللغوية للتأمل نستنتج أن التأمل هو النظر مليا إلى الشيء وتدبره وأماكن التركيز والتعميق في المواضيع.

اصطلاحا:

إن التأمل حالة من الغيبوبة الفكرية والاستغراق الذهني يفرق بها المرء حول موضوع يأخذ بمجامع فكره ، تحصيل لأصحاب الفكر كي يستجمع أفكارهم ويعنوا بتصويرها وترتيبها لعملهم الفكري أو الأدبي وكثيرا ما يستسلم إليها المرء باللاشعور إذ تمر بمخيلته أطياف تجعله كالنائم وليس نائما وهي شبيهة بأحلام اليقظة ويعتزل المفكرون والفلاسفة والمنصوفة في صومعاتهم وخانقاتهم كي يتمكنوا من الاسترسال في تأملاتهم ، من غير أن تزعجهم زحمة المدينة ومزاحمة العابرين والزائرين[3].

[1] صابرعبد الدايم ، أدب المهجر دراسة تحليلية تأملية أبعاد التجربة التأملية لأدب المهجر، دار المعرفة القاهرة، ط1، 1993، ص31.

[2] المرجع نفسه، ص31.

[3] محمد التويجي ، المعجم المفصل في الأدب دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان،ج1،ط2، 1999، ص220.س

فالتأمل هو المنهج الذي اتخذه الأدب المهجري وخلق في أفاقه فقد أطال المهجريون النظر في دواتهم وما حولهم من الكائنات شأن الفلاسفة الروحيين وانشغلوا بما انطوى في أعماق النفس من المخبآت والودائع وانشغلوا بمشاكل الوجود وقضايا الفناء والخلود، وكذلك تأملوا أنفسهم ، وبحثوا في أسرارها الموغلة في الخفاء ووضعوا موقفهم عن مشاهد الوجود حولهم ،..وكل له نظرته الخاصة ....[1]

ويمكن تلخيص أهم ما يركز عليه التفكير التأملي فيما يلي:

- الاكتشاف الذاتي واكتشاف القضايا والموضوعات المهمة عن طريق التجربة .
- التدبر النشيط المستمر الدقيق لأي معتقد أو أفكار أو صورة أو نظريات في ذهن الفرد.
- يقوم على المراقبة ومراجعة الذات وتقويمها.
- يبحث في الرابط بين ما يشعر به الفرد وما يقرأه وما يعرفه .
- يقوم على تنظيم مدركات الفرد.
- النشاط والتصميم والاهتمام الحذر حول أي اعتقاد أو رأي يقدم في المعرفة.
- تحليل المواقف إلى عناصرها ورسم الخطط اللازمة لفهمها للوصول إلى النتائج التي تتطلبها هذه المواقف[2].

[1] صابر عبد الدايم ، أدب المهجر ، دار المعرفة ، ط1، 1993، ص235.

[2] المرجع نفسه، ص236.

اختيار قصيدة رومانسية " المواكب":

الْخَيْرُ فِي النَّاسِ مَصْنُوعٌ إِذَا جَبَرُوا ... وَالشَرُ فِي النَّاسِ لاَ يَفْنِي وَإِنْ قَبَرُوا
وَأَكْثَرُ النَّاسِ آلاَتٌ تُحَرِكُهَا ... أَصَابِعُ الدَّهر يَوْما ثُمَّ تنْكَسِرْ.
فَلاَ تَقُولَنْ هَذَا عَالِمٌ عَلَمٌ ... وتَقُولَنْ ذَاكَ السَيدُ الْوَقِرْ.
فَأَفْضَلَ النَّاسِ قُطْعَانٌ يَسِيرُ بِهَا ... صَوْتُ الرُعَاةِ وَمَنْ لَمْ يَمْشِ يَنْدَثِرْ.
لَيْسَ فِي الْغَابَاتِ رَاعٍ ... لاَ وَلاَ فِيهَا الْقَطِيعُ.
فَالشتَاءُ يَمْشِي وَلَكِنْ ... لاَ يُجَارِيهِ رَبِيعُ
خَلَقَ النَّاسُ عَبِيدًا ... لِلَذِّي يَأْتِي الخُضُوعَ.
فَإِذَا مَا هَبَ يَوْماً ... سَائِراً سَارَ الْجَمِيعُ.
أَعْطِنِي النَايْ وَغَنِّي ... فَالْغِنَا يَرْعِى العُقُولْ.
وأَنِينُ النَايْ أَبْقَى ... مِنْ مَجْدٍ وذَلِيلَ[1].
وَمَا الحَيَاةَ سوى نَوْمٍ تُرَاوِدُه ... أَحْلاَ مِنْ بِمُرَادِ النَفْسِ يأْتَمِرْ.
والسِرُ فِي النفْسِ حُزْنُ النَفْسِ يَسْتُرُهْ ... فإِن تولى فَبِالأَفْرَاحِ يسْتَتِرْ.
والسِرُ فِي العَيْشِ رَغْدُ العَيْشِ يَحْجُبُهُ ... فإِنْ أَزِيلَ تَوَلى حَجْبُهُ الكَدِرْ.
فإِنْ تَرَفَعَتْ عَنْ رَغْدٍ وَعَنْ كَدَرٍ ... جَاوَرَتْ طِلَ الذَي حارَتْ بِهِ الفِكْرُ.
لَيْسَ فِي الْغَابَاتِ حُزْنٌ ... لاَ وَلاَ فِيهَا الْهُمُومُ.
فَإِذَا هَبَ النَسِيمُ ... لَمْ تَجِيءْ مَعَهُ السُمُومُ.
لَيْسَ حُزْنُ النَفْسِ تَبْدُرْ ... مِنْ ثَنَايَاهَا النُجُومْ
أَعْطِنِي النَايْ وَغَنِ ... فَالْغِنَا يَمْحُو الْمِحَنْ.
وأَنِينُ النَايْ يَبْقَى ... بَعْدَ إِنْ يَغْنِى الزَمَنْ[2].

[1] ديوان جبران خليل جبران، قصيدة المواكب.

[2] المصدر نفسه.

قصيدة المواكب:

يعود تاريخ قصيدة خليل جبران "المواكب" إلى سنة 1918م وهي مجموعة من ثنائياته الشعرية فمواكبه كانت باكورة مؤلفاته أي بعد ظهور كتبه الخمسة في العربية"الموسيقى، "عرائس المروج"والأرواح المتمردة" "والأجنحة المتكسرة" و"دمعة وابتسامة " وأودع فيها الشاعر تمرده على الحياة بقوانينها الصارمة وتقاليدها العمياء وشرائعها التي لا ترتاح إليها ، وواضح أن في مواكب جبران أفكار فلسفية وأراء اجتماعية لا تنكر ، ولكن غرضه الأساسي من هذه المجموعة هو التمرد والثورة على الحياة المعقدة المشوشة والدعوة الحارة للرجوع إلى الطبيعة الساذجة والتي كان يقصد بها الحياة البسيطة والسهلة والبعد عن الكلفة والتأنق [1].

فمواكبه لم ينحرف عن خطه ولم يحدد عن نهجه وما المواكب إلا تطويق في أرجاء الإنسان الضارب في مسالك الأرض، تطويق في خيره وشره وحبه، وبقضائه ودينه، وكفره، ويقينه، وشكله وسعادته وشقائه ويقظته، وعدله وظلمه وعمله وجهله، وطمأنته وقلقه، وخلوده وفنائه وروحه وجسده، لقد تجرد الإنسان في هذه اللحظة الشعرية أمام جبران ، كل ما فيه من لحم ويبين ما فيه من دم، وانهار ما فيه من عظم، فإذا هو نسيج من خيوط الروح وضلوع الضباب، لقد تبخر كل ما فيه من نزوات مادية ونزعات جسدية ليتحقق في مواكب الخير والجمال[2].

[1] مجلة القسم العربي، العدد السادس عشر، سنة 2009، ص182.

[2] نبيل كرامة ، جبران خليل جبران وآثاره في الأدب العربي دراسة نقد ، تحليل ، نصوص،ط1، منشورات دار الرابطة الثقافية، ص88.

تحليل قصيدة المواكب:

المواكب:

قصيدة طويلة ظهرت سنة 1919م هي ملحمة شعرية طواها جبران على خواطر فلسفية في الخير والشر والدين والحق والعدل ، وما إلى ذلك من شؤون الحياة المختلفة ، والقصيدة أشبه بحواريين شخصيين وما الصوتان سوى" مدى النزاع الداخلي في نفس جبران ما بين إيمانه بفطرة الإنسان الإلهية وبين ما يبصره في حياة الناس ، من بشاعة ووجع وتشويش[1].

أولا: الخير والعلم:

يرى جبران أن الناس لا يضعون الخير إلاّ إذا اجبروا على ذلك ، أما الشر هو متأمل يهم حتى الشاعر يبالغ ويقول يبقى الشر يهم حتى بعد موتهم ، أما الناس فهم ضعفاء أمام الدهر وأصابع الدهر تلعب بهذه الآلات (الشر) لكن سرعان ما تنكسر هذه الآلات وكأن البشر ألعاب طفل يلهو بها لكن حين يغضب يكسرها ، وما دام الحال على هذا النحو[2] يقول جبران :

الْخَيْرُ فِي النَّاسِ مَصْنُوعٌ إِذَا جَبَرُوا وَالْشَرُ فِي النَّاسِ لاَ يَفْنِي وَإِنْ قَبَرُوا
وَأَكْثَرُ النَّاسِ آلاَتٌ تُحَرِكُها أَصَابِعُ الدَّهر يَوْما ثُمَّ تنْكَسِرْ[3].

وهكذا يحدثنا جبران عن الخير والشر فالإنسان لا يقوم بعمل الخير إلا رغما والشر بلازمة حتى القبر، فإذا الإنسان ظل له مراض يمارس الشر في عضلاته.

ويرى أيضا أنه لا يجب أن يفتخر بعلم هذا أو مجد ذاك ، فالناس عبارة عن قطعان تتبع للراعي القوي ومن لا يتبع هذا القوي يزول أو يضيع ، فالعلم عند الناس سبل انتهجوها مقلدين فيها من درج عليها ، ومن جادا عنها قيد أنمله، وهو قواعد تجرعوها وكلمات اقتبسوها ومنعوا في اجترارها وهكذا استحكم بهم التقاليد وتأصيل وضُوحَ فيهم الابتكار والتوليد الذي هو غاية العلم وسره[4].

---

[1] مقدمة ، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، ص21-24.

[2] نبيل كرامة،جبران خليل جبران وآثاره في الأدب العربي دراسة نقد ، تحليل ، نصوص،ط1، منشورات دار الرابطة الثقافية، ص90.

[3] ديوان جبران خليل جبران، قصيدة المواكب.

[4] المرجع السابق، ص91.

والعالم الصحيح هو الذي ازور عن هذه السبل المطروقة فاختلط نهجا بكرا وضرب مجاديفه في خصم سحيق القرار ، لقد خرج عن مألوف الناس لذا صقر وخذوهم واحتقروه ، لقد اندفع في تعريف هذا العالم الفاهم حتى جعل منها نبيا يصك الأذان بالأموال المبتكرة [1] يقول الشاعر:

فَلاَ تَقُولَنْ هَذَا عَالِمُ عَلْمَ وتَقُولَنْ ذَاكَ الْسَيدُ الْوَقِرْ.
فَأَفْضَلَ النَّاسِ قُطْعَانُ يَسِيرُ بِهَا صَوْتُ الرُعَاةِ وَمَنْ لَمْ يَمْشِ يَنْدَثِرْ.
لَيْسَ فِي الْغَابَاتِ رَاعٍ لاَ وَلاَ فِيهَا الْقَطِيعُ.
فَالشتَاءُ يَمْشِي وَلَكِنْ لاَ يُجَارِيهِ رَبِيعُ.
خَلَقَ النَّاسْ عَبِيدَاً لِلَذِّي يَأْتِي الخُضُوعَ.
فَإِذَا مَا هَبَ يَوْماً سَائِراً سَارَ الْجَمِيعُ.
أَعْطِنِي النَايْ وَغَنِّي فَالْغِنَا يَرْعِى العُقُولْ[2].

وهكذا يكون العلم طريق تعرف أوله ولكن النهاية مجهولة وهي نهاية الدهر والقدر لذلك الإنسان العاقل والمتعلم هو الذي يعيش بالأحلام أي ينظر دائما إلى المستقبل لدرجة أن الآخرين يسخرونا منه لأنهم نائمون أمّا في الغاب فلا يوجد ثنائية العلم والجهل فانحناء الأغصان ليس احترام لعالم فعلوم الناس كالضباب في الحقول تزول عند ظهور الشمس أمّا الغناء فهو أفضل العلوم لأن أنين الناي سيبقى بعد زوال الكون[3].

[1] نبيل كرامة،جبران خليل جبران وآثاره في الأدب العربي دراسة نقد ، تحليل ، نصوص،ط1، منشورات دار الرابطة الثقافية، ص90.

[2] ديوان جبران خليل جبران، قصيدة المواكب.

[3] المرجع السابق، ص93.

ثانيا : الحياة والغاب:

أنّ للمناظر الطبيعية أثر كبير في الحياة النفسية والمادية ، فالطبيعة تعد ذلك الشيء الجامد أو المظاهر الصماء ، بل كائن حي يختلج بالإحساس والإدراك ويقوم بينه وبين الشاعر عاطفة عميقة ، هروبا من الواقع مفتشا عن الطريق إلى الروح المثالي الذي تخيله، وفي الحقيقة أن جبران لم يشعر اتجاه هذه الحياة الصاخبة بأن توافق أو انسجام بل على العكس مجد الطبيعة[1].

لذا اعتبرت الطبيعة حياة روحية ، ويمكن مخاطبتها ومناجاتها، ومبادلتها الشعر والأحاسيس والعواطف ، واكتشاف أسرار الروح والجمال والعطف والحنان ولهذا فقد كان جبران يعتبر الطبيعة معبراً له، وهكذا كانت الطبيعة بشرى وما حولها من جبال ، وأنهار ومن غابات وحقول ، فقد اعتمد الثقل في تفكيره ، فاستهلها في مختلف وجوهها المادية والمعنوية ، وفي جميع حالاته[2].

ولقد تركت طبيعة لبنان أثراً فعالا في نفس جبران خليل جبران ولم يكن من السهل عليه نسيانها وكان يصرخ في وجه الزعماء، المتشدقين بأحاديث السياسة التي لا تثير اهتمامه فيقول: لكم لبنانكم، وليَّ لبنانكم ، لكم لبنانكم ومعضلاته، ولي لبناني وجماله، لبنانكم عقدة سياسية تحاول حلها الأيام ، أما لبناني فقد تتعالى بهيجة وجلال نحو زرقاء السماء[3].

[1] مجلة القسم العربي العدد السادس عشر ، 2009، ص164.

[2] نعيمة جبران خليل جبران حياته، موته فنه وأدبه، دار صادر ، بيروت ، ط5، 1964، ص211.

[3] د.محمد نجم الحق الندوي، جبران في ضوء مؤلفاته العربية، ص167.

فالغاب هو المرحلة النهائية التي لن يبلغها إلاّ الإنسان الأثيري أما الأرضي فقد علق في أوجال التراب ، فهو يجيء بعجز ويموت ببطيء فقد أغرانا جبران أن نبلغ ذلك الغاب ، تلك المرحلة الروحية لتشعر في رؤية الحق والجمال[1].

وما الغاب في رمز للحياة المثلى التي تكونت في تأمله وطول تهجده ، وما الغاب إلاّ الصورة المجسدة للحنين الروحي الذي تقلصت على حرارته النزعة الجسدية ، وانقرضت الشهوة الترابية ، ويقيني أن صورة الغاب استقاها من غاب لبنان الذي كثيرا ما حدثته نفسه أن يسلخ شطرا من عمره فيه غير تجربته الطويلة ، للمدينة الآلة التي جعلت من الإنسان دوليا بكراً.

فمعرفته لتلك المدينة ما كانت إلاّ لتضرم بداخلها الجموح الشرقي ، الصوفي وأذكت في سريرته أنوار ذلك الغاب ، حيث يرسل الناي نغمة في أذن الأثير على أنّ هذا الغاب لم يتفرد به جبران بل نرى أحياءه في كثير من الشعر المهجري ، ولكنه لم يتحلي الفلسفة الدقيقة إلا عند جبران ، وكأني بذلك الغاب يرمز إلى بلاد نائية، كما جاء في مقطوعته "البلاد المحجوبة" اتخذ منسوبا أخيراً ليبلغ غابه "مواكبه"[2] .

وبعد أن أعياه الدأب في تعقب الإنسان وبعد أن ستفرغ مجهوده في حب خاطره ، حط جبران خليل جبران في غايته تلك الضالة المنشودة مشيخا عن القصور والدور ، وراح يقفز في مرح الطفل وبراءته يتبع الجداول ، يترنم بترنمها ، يتسلق الصخور ويطمئن باطمئنانها ، راح يتغلغل في العطر ويستحمم به ويتنشق ويعتصر خمر الفجر في كؤوس أثيرية –يرنو إلى العناقيد المتدلية كأنها ثريات من ذهب ، ويفترس الأعشاب ، يتقلص بالطبيعة يتنصت إلى همساتها الخفية[3].

[1] نبيل كرامة،جبران خليل جبران وآثاره في الأدب العربي دراسة نقد ، تحليل ، نصوص،ط1، منشورات دار الرابطة الثقافية، ص89.

[2] المرجع نفسه، ص59.

[3] المرجع نفسه، ص98.

وكان يلتصق الفضاء متأملا في لا نهاية مغيبا ما فيه العقيم في سجو الليل وصمته ، متناسيا أو جوعه، ففي الغاب زايلته همومه وأحسن بأنامل طلاقته ولمسات بشاشته من شرقت هذا الغاب أطل على الناس فرآهم لا يزالون يبحثون على التراب ، يستندون على عكاكيز أو هامهم في تلك الساعة الصباحية توقد في عينيه نور غريب ، فتضاءلت أمام هذا النور الحاد منا فساءت الناس وتصاغرت أشواقهم للشهرة واضمحل جوعهم للمجد ، واستيقظ في أذنه حس مرهف فاستحق بضجيجهم ومنطقهم واحتجاجهم ، لقد بداله الإنسان يحفر بالمناجل إنفاقا يدفن فيها أماله وأمانيه ويشد فيها ذاته[1] ذاته[1] يقول جبران خليل جبران:

لَيْسَ فِي الْغَابَاتِ حُزْنٌ لاَ وَلاَ فِيهَا الْهُمُومُ.
فَإِذَا هَبْ النَسِيمُ لَمْ تَجِيءْ مَعَهُ السُمُومُ.
لَيْسَ حُزْنٌ النَفْسِ تَبْدُرْ مِنْ ثَنَايَاهَا النُجُومْ
أَعْطِنِي النَايْ وَغَنِ فَالْغنَا يَمْحُو الْمِحَنْ.
وأنِينُ النَايْ يَبْقَى بْعدَ إنْ يَغْنى الزَمَنْ[2].

ولقد شبه جبران الحياة برقاد تتقاطعه أحلام تغشى بعضها أفراح ويموه بعضها أحزان وإنسان جبران هو الذي تخطى حدود الرغد والكدر آنذاك يتفيأ ظل الله[3] يقول الشاعر :

وَمَا الحَيَاةَ سوى نَوْم تُراوِدُه أحْلاَ مِنْ بِمُرَادِ النَفْسِ يأتَمِرْ.
والسِرُ فِي النفْسِ حُزْنُ النَفْسِ يَسْتُرُهْ فإن تولى فَبالأَفْراحِ يسْتَتِرْ.
والسِرُ فِي العَيْشِ رَغْدُ العَيْشِ يَحْجُبُهُ فإنْ أَزِيلَ تَوَلى حَجْبُهُ الكَدِرْ.
فإنْ تَرَفَعَتْ عَنْ رَغْدٍ وَعَنْ كَدَرٍ جَاوَرَتْ طِلَ الذَي حارَتْ بِهِ الفِكْرُ[4].
الفِكْرُ[4].

وهكذا اوجد جبران الغاب الحرية المطلقة ينساق المجد إليها على تواقيع الغناء والحداء الحرّ عند جبران الذي مر على الأرض دون أن يثقل جناحه في أوزارها أو تتردى نفسه إلى صغائر مجدها.

[1] نبيل كرامة،جبران خليل جبران وآثاره في الأدب العربي دراسة نقد ، تحليل ، نصوص،ط1، منشورات دار الرابطة الثقافية، ص98.

[2] ديوان جبران خليل جبران، قصيدة المواكب.

[3] المرجع نفسه، ص90.

[4] ديوان جبران خليل جبران، قصيدة المواكب.

وقد كانت مواكب جبران في نفس مؤلفها بين جبران الساب الذي مات وجبران الشيخ الذي خبر الدنيا وعرف دخائلها وجرب الناس ودرس طبائعهم ولذا جاءت مواكبه مصطبغة بصبغة التأمل والفلسفة وأيضا جاءت بعيدة كل البعد عن مظاهر الشوق والحنين.

لذا يقال أن مواكب جبران تمثل حداً فاصلا بين عهدين من حياته الأدبية والفكرية ، عهد العواطف والأحاسيس والتفجع والشكوى وعهد الفلسفة والتأمل والنظر العميق[1].

وهكذا مدّ جبران الإنسان في أدبه متسعا فسيحا ، حتى أقول أن هذا الإنسان اجتاح أدبه اجتياحا ، واكتسحه اكتساحا وراح من غير كلالة ولا وهن يرود في جنابته يستجلي غوامضه، يفتح مغاليقه لقد رأه يقيم الحواجز التي تعوق تقدمه واعتلاءه فهي تحطم الموانع ويفيض الأسداد...[2]

وقصيدة المواكب قصيدة مطولة بينت كلها على ما يوجد من تناقض جوهري بين الحياة الاجتماعية بنقصها وزينها ، وحياة الغاب حيث القيم والأصلية لم تدنس وحيث الممارسة الوجودية تعنت الصفاء وتقارب المطلق في كنف موسيقى الناي[3].

[1] محمد نجم الندوي، جبران في ضوء مؤلفاته العربية، ص183.

[2] نبيل كرامة،جبران خليل جبران وآثاره في الأدب العربي دراسة نقد ، تحليل ، نصوص،ط1، منشورات دار الرابطة الثقافية، ص88.

[3] فؤاد القرقوزي، أهم مظاهر الرومنطيقية في الأدب العربي الحديث وأهم المؤثرات الأجنبية فيه ، دار العربية للكتاب ، 1984، ص144.

اختيار قصيدة: أغاني التائه أبو القاسم الشابي:

كَانَ فِي قَلْبِي فَجْرٌ وَنُجُومْ وَبِحَارٌ لاَ تُغَشِهَا الْغُيُومْ.
وَأَنَا شِيدٌ وأَطْبَارٌ تَحُومْ وَرَبِيعٌ مُشْرِقٌ ، حُلُو، جَمِيلْ
كَانَ فِي قَلْبِي صَبَاحْ وإِيَّاهْ وَابْتِسامَات وَلَكِنْ وَاسَاهْ!.

كَانَ فِي قَلْبِي فَجْرٌ وَنُجُومْ
فإِذَا الكُلُ ظلاَمٌ سَدِيمْ.
كَانَ فِي قَلْبِي فَجْرٌ وَنُجُومْ

يَا بْنَ أُمْي ! تُرى أَيْنَ الصَبَاحْ؟ فَقَدْ تَقْضِي الْعُمْرَ والفَجْرَ بَعِيدْ.
وَطَغَى الْوَادِي بِمَشُوبِ النَوَاحْ وانقَضْتْ أُنْشُودَةُ الفَصْلِ السَعِيدْ.
أَيْنَ نَايُ؟ هَلْ كَرَامَتْهُ الرِيَّاحُ أَيْنَ نَايُ؟ هَلْ كَرَامَتْهُ الرِيَّاحُ.
خَيرُ قَلْبِي فَمَا أَقْسى الْجِرَاحْ كَيْفَض طَارتْ نَشوَةُ العيش الحَمِيدْ.

يَا بْنَ أُمْي ! تُرى أَيْنَ الصَبَاحْ.
أَوَ رَاءَ البَحْرِ؟ أَمْ خَلْفَ الوُجُودِ؟.
يَا بْنَ أُمْي ! تُرى أَيْنَ الصَبَاحْ[1].

لَيْتَ شِعْرِي! هل سَتُسْلِينِي الغُدَاةُ وتُعَرِيْنِي عَنْ الأَمْسِ الفَقِيدْ.
وتُرِيْنِي أَنْ أَفْرَاحَ الحَيَاةُ رُمُز تَمْضِي وَأَفْوَاجَ تَعُودْ.
فَإِذَا قَلْبِي صَبَاحُ وإِيَّاهْ.... وَإِذَا أَحْلاَمِي الأُولى وُرُودْ
وَإِذَا الشَحْرُورُ حُلْو النَغَمَاتْ وَإِذَا غَابَ ضِيَاءْ رِشِيْدْ.

لَيْتَ شِعْرِي! هل سَتُسْلِينِي الغُدَاةُ؟
وَإِذَا الشَحْرُورُ حُلْو النَغَمَاتْ.
لَيْتَ شِعْرِي! هل سَتُسْلِينِي الغُدَاةُ؟[2].

[1] أبو القاسم الشابي ديوان أغاني الحياة قصيدة "أغاني التائه.
[2] المرجع نفسه.

العنوان:

يعود تاريخ قصيدة أبو القاسم الشابي "أغاني التائه" إلى 27 مارس 1929 تضمنها ديوانه "أغاني الحياة" الذي لم يكتب له الظهور وهو قيد الحياة لغياب شروط النشر في تونس وتأخر وصول نسخته الأصلية إلى المركز الشعري الذي كان تبنى صوت الشاعر ضمن جماعة أبولو.

ونتيجة العنوان الذي وضعه الشاعر لقصيدته ، فتبدو القصيدة من خلالها نشيد ذات متجاوب مع الحياة والمعيش في التفاعل الحر الذي ينتهي إليه كل شاعر وبما تحمله ذاته الفردية من نزوع المغامرة والتيه[1].

ختيار القصيدة معنى النبوة لتصدر عنه في عبورها من الحياة إلى تجسيد تغيراتها ، فعادت "أغاني التائه" إلى الزمن الفردي والحياة كما يعش الشاعر مظاهرها ، ولكن برغبة تجاوز إحساس الإنسان الشاعر لألم الموت وظلام الكون ، ومواجهة الصراع الذي يقسم مظاهر الحياة إلى ثنائيات الحياة والموت، الظلمة والنور ، القديم والجديد بما هي تجليات للوجود ، تمثلها الشاعر من بشائر الصباح الجديد أو الطريق إلى الغاب الذي ركبه الرومانسيون كافة وإليه نبوة الشعر ، فجسدتها القصيدة ، فـ"أغاني التائه" تمثل للغاب وللنبوة بدوال بانية لمعنى التيه وأثره عند الشابي[2].

[1] يوسف خاوري، الشعر الحديث في المغرب العربي ج1، ص258.

[2] المرجع نفسه، ص259.

تحليل قصيدة التائه لأبو القاسم الشابي:

إنّ قصيدة " **أغاني التائه**" تحدث فيها الشابي بلغة فصيحة وسهلة حيث وردت بسيطة التعبير فليس فيها تعبير معقد أو لفظة غريبة ، فهي تنساق انسياقا ذات معاني موجبة من أحاسيس الشاعر ومشاعره وتفاعلاته فاختيارها الشابي حسب نفسيته، فبالغم من بساطتها فهي تحمل معاني موحية عميقة بعمق الانفعال النفسي للشاعر ،إذ تمثل القصيدة حنين الشاعر إلى صباح انقضى من حياته أو فجر ظل في ثنائي مستمر[1].

حيث يقول الشابي:

كَانَ فِي قَلْبِي فَجْرٌ وَنُجُومْ وَبِحَارٌ لاَ تُغَشِّهَا الْغُيُومْ.
وَأَنَا شِيدٌ وأَطْيَارٌ تَحُومْ وَرَبِيعٌ مُشْرِقٌ ، حُلُوٌ، جَمِيلْ
كَانَ فِي قَلْبِي صَبَاحْ وإِيَّاهْ وَابْتِسَامَات وَلَكِنْ وَاسَاهْ![2].

بنى الشاعر صورته في تفاعلات مع مظاهر الطبيعة وقد تما هي الجسد الفردي مشاعر وأحاسيس فيها الشاعر بقوة الضوء والإشراق الذي تبحثه الذات ككوة أمل ومظهر جمال فالشاعر يرغب في استعادة الزمن الأول الذي سماه الشاعر بالأمس أو الفجر البعيد ، حيث ساد في القصيدة الرومانسية حواريين ذات الشاعر المتكلمة والأخر مثلها الشاعر في المنادى[3] "يا بن أمي"، يقول الشاعر:

يَا بْنَ أُمِّي ! تُرى أَيْنَ الصَبَاحْ؟ فَقَدْ تَقْضِي الْعُمْرَ والفَجْرَ بَعِيدْ.
وَطَغَى الْوَادِي بِمَشْوبِ النَوَاحْ وانقَضَتْ أُنْشُودَةُ الفَصْلِ السَعِيدْ[4].

فالشاعر فضل استعمال الألفاظ الشعرية النفسية التي ولجت إلى النفس بالذكريات مثال ذلك فالشابي يكون كئيبا مظلما كقلب الظلام حينما يمثل يئس الحياة وأحزان البشر، حيث يئس الشاعر من البشر ، ولم يجد إلا في الشعر متنفسا لعواطفه ولم يجد إلا في ظلمة الليل واجفان الزهور مصبا لآهاته وعبراته[5].

---

[1] يوسف خاوري، الشعر الحديث في المغرب العربي ج1، ص200.

[2] أبو القاسم الشابي ديوان أغاني الحياة قصيدة "أغاني التائه.

[3] المرجع نفسه، ص200.

[4] المرجع نفسه.

[5] حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث ، دار الجيل بيروت ، ط1، 1986، ص561.

أما إذا كان العكس ، "فيكون الشابي رقيقا شجيا كأنات بعيد ، حينما تمثل أحلام الحياة وتوحي القلوب المتحابة ، وقصيدته هذه تميزت بالسلاسة والقوة والجود في الألفاظ وذلك واضح في الأفكار التي نسج بها نصه ليعبر عن حنينه إلى ذلك الصباح الذي انقضى من حياته[1].

يقول الشاعر:

كَانَ فِي قَلْبِي فَجْرٌ وَنُجُومْ.
فإذَا الكُلُ ظلاَمٌ سَدِيمْ.
كَانَ فِي قَلْبِي فَجْرٌ وَنُجُومْ[2].

فالشابي هنا يتساءل أين الأمل والصباح الجديد ، لأنه ملَّ وانقض منه العمر ولا زال الصباح بعيد وهو يتألم عن عيشته الحميدة التي عاشها في الماضي ، أو الصباح الذي انقضى منه، وأنّ هذه العيشة الحميدة قد طارت منه وأصبحت جروحاً قاسية ، ويتعجب لإعصار الحياة وتقلبات المظاهر ، فهو هذا الإعصار[3].

يقول الشاعر:

يَا بْنَ أُمْيٍ ! تُرى أيْنَ الصَبَاحْ؟ فَقَدْ تَقْضِي الْعُمْرَ والفَجْرَ بَعِيدْ[4].

حيث كانت هذه الأبيات حافلة بالحزن والألم ، وكثير ما ترميه رومانسية في أحضان الطبيعة يناجيها ، ويفضي إليها بأشجانه، فينطلق في عالمها الواسع، ويمزج روحه بروحها ، فيفيض قلبه ولسان بما يعتلج في عالمه من فلسفة وتأمل للوجود[5].

[1] محمد خليفة التلبسي، الشابي وجبران ، دار الثقافة ، ط2، 1967، ص23.

[2] أبو القاسم الشابي ديوان أغاني الحياة قصيدة "أغاني التائه.

[3] **المرجع السابق، ص23.**

[4] المصدر نفسه.

[5] حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث ، دار الجيل بيروت ، ط1، 1986، ص561.

فالشابي يخبرنا عن حياته وأيامه وكيف كان يعيش ،كيف تغير الزمن وتغيرت حياته السعيدة وانقضت أنشودة الفصل السعيد حيث يقول :

وَطَغَى الْوَادِي بِمْشُوبِ النَوَاحْ وانقَضْتْ أُنْشُودَةُ الفَصْلِ السَعِيدْ..
أيْنَ نَايُ؟ هَلْ كَرَامَتْهُ الرِيَّاحُ أيْنَ نَايُ؟ هَلْ كَرَامَتْهُ الرِيَّاحُ.
خَيرُ قَلْبِي فَمَا أقْسى الْجِراحْ كَيْفض طَارتْ نَشوَةُ العيش الحَمِيدْ[1].

حيث نلتمس من خلال أبياته هذه أنه تعبد الطبيعة ، حيث ميز بين إحساس من يصف الطبيعة لأنه يراها وبين من يصف الطبيعة لأنه يعبدها ، لأن الخيال الشعري منشؤه الإحساس الملتهب والشعور العميق، المتدفق في قلب الطبيعة والتي جعلت الشابي يتميز عن بعض الشعراء بوجدانه المشبوب الذي تنصهر فيه عاطفة الحب فتمتزج بعناصر من الطبيعة والمجتمع[2].

فالشابي يعبد الطبيعة عبادة عميقة تصل به إلى درجة الفناء في جمالها الأخاذ ونذرك أن شعوره بها لم شعوراً بسيطا، ولكنه كان شعورا عميقا لأنه لا يتذوقها في سذاجة المتلذذ المتنعم الذي لا يشغله منها إلا ما تهيئه له من راحة وظل وفير.

فالركون إلى الطبيعة مزاج مميز لتلك الشخصيات التي تجنح إلى المثالية وبساطة الحياة وطهرها ، ولقد بلغ من سيطرة الطبيعة على الشابي وحبه لها أن كانت استعاراته وتشبيهاته أصداء لجمالها وقصائدها على حافلة بهذه الأمثلة الرائعة التي تدل على عمق إحساسه، وهذا يؤكد لنا أنه كان يعيش شعره بكامل أحاسيسه وأنه لشدة حبه لطبيعة يكاد يذوب في جمالها السرمدي ويغلب على صاحبها هذا المزاج الرومنسي الذي يعبد الطبيعة أن يتخذ من مظاهرها وسيلة لتعبير عما في نفسه فهي ليست منفصلة عنه وإنما نراها خلال ألامه وأفراحه، فإذا طغى على قلبه كان أبرز المظاهر في شعره لتلك الشاحبة الحزينة وإذا أشرقت البهجة في قلبه وأطل البشر على آفاق حياته المتجهمة[3].

[1] أبو القاسم الشابي ديوان أغاني الحياة قصيدة "أغاني التائه.

[2] محمد خليفة التلبسي، الشابي وجبران ، دار الثقافة ، ط2، 1967، ص76.

[3] المرجع نفسه، ص77.

فتصويره للطبيعة يكون حافلا بهذه الصور الذي تنسبه في ألامه وتعزيه في أحزانه فالطبيعة غير مقصودة لذاتها وإنما هي إطار جميل جذاب يحيط بالصورة التي يريد الشاعر تصورها ، فهي تدل على قوة في الخيال وعمق في التجاوب والتعاطف الذي كان يشعر به نحوها يستمدها من الطبيعة ويستوحيها من حكمتها الخالدة[1].

يقول الشاعر:

يَا بْنَ أُمْيٍ ! تُرى أيْنَ الصَباحْ.
أَوَ رَاءَ البَحْرِ؟ أمْ خَلْفَ الوُجُود؟
يَا بْنَ أُمْيٍ ! تُرى أيْنَ الصَباحْ[2].

وها هو الشاعر يصور لنا حياته وعزائه وتمنيه إلى عودة الأمس الفقيد الذي مثله بإنسان فارق الحياة ولن يعود ، وتذكره الأفراح عاشها ومضت ، ويمكن لأفواج منها أن تعود يقول الشابي:

لَيْتَ شِعْري! هل سَتُسْلِيني الغُدَاةُ وتُعَزِيْنِي عَنْ الأَمْسِ الفَقيدْ.
وتُرِيْنِي أنْ أَفْرَاحَ الحَيَاةُ رُمُز تَمْضِي وَأَفْوَاجَ تَعُودْ[3].

والطبيعة عند الشابي تسكن استعاراته وتشابهاته المعبرة عن روعة هذه المناظر التي يشير إليها إشارة عابرة أو مصورة لما فيها من سحر وجلال ، فالشاعر عميق الإحساس بها حيث يبعث في حديثه عن الطبيعة دفئا وحنانا لا نعهده في غيره من الشعراء المعاصرين[4].

[1] محمد خليفة التلبسي، الشابي وجبران ، دار الثقافة ، ط2، 1967، ص78.
[2] أبو القاسم الشابي ديوان أغاني الحياة قصيدة "أغاني التائه.
[3] المرجع نفسه، ص79.
[4] المرجع السابق، ص38.

يقول الشابي:

فَإِذَا قَلْبِي صَبَاحُ وإِيَّاهْ.... وَإِذَا أَحْلاَمِي الأُولى وُرُودْ
وَإِذَا الشَحْرُورُ حُلْو النَغَمَاتْ وَإِذَا غَابَ ضيَاءْ رشِيْدْ.
لَيْتَ شِعْري! هل سَتُسْلِيني الغُدَاةُ؟
وَإِذَا الشَحْرُورُ حُلْو النَغَمَاتْ.
لَيْتَ شِعْري! هل سَتُسْلِيني الغُدَاةُ؟[1].

هذا هو الشابي شاعر الشباب والألم ، وكل ما نستطيع أن نختم به كلامنا هو أن الشعر عند الشابي هو الشابي نفسه، هو عقله الفوار، وأعصابه المتهاجة ، وطبيعةته المتدفقة ، وروحه الطيبة في غياب آلامها، وسلسلة انفعالاته في مدها وجزرها.

والذي نلمسه في شعره إلى جانب السلاسة والطبيعة والحرارة ، هذا الاعتماد الشديد يدعى التشبيه، هذا التكرير الأفكار والصور بقصد التقرير وهذه الثورة اللفظية والتعبيرية التي يحاول أن يحملها كل ما يعتلج في نفسه شعر الشابي هو شعر الحياة في غير التواء ولا تمويه ولا تصنيع ، هو شعر التدفق الذي يصدر عن معاناة عميقة المزافر...هو الشعر و كفى[2].

[1] أبو القاسم الشابي ديوان أغاني الحياة قصيدة "أغاني التائه.

[2] حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث ، دار الجيل بيروت ، ط1، 1986، ص570.

بين جبران والشابي:

لقد وقفت الدراسات على تأثير جبران في الشابي وقفة صامتة ، في تحديد مدى هذا التأثير ، وهذه الكلمة محاولة متواضعة لتحديد الصلة بين الشابي وجبران ، وتصحيح الوهم الذي علق ببعض الأذهان ، فصور لها أن أثر جبران في الشابي لم يتعد حدود التشابه في الصياغة وطريقة لأدوار، فالدراسة الواعية لإنتاج هذين الأذيين تكشف مدى الأثر العميق الذي طبع به جبرا الشابي ، وتوضح أنه كان من أخص تلاميذه وأنبغهم ، ولعل الأدب المعاصر لا يعرف بين شعراء الأدب الحديث من وضح فيهم تأثير جبران كما وضح في الشابي ، فتلميذه الشابي لجبران تعني التشابه في الخصائص الفنية وفلسفة الحياة[1].

حيث يعد جبران خليل جبران رجل الطبيعة الفنية التي توترت أعصابها ورقت ملامسها ودقت مناطق حساسيتها ، فكانت عالما مزيجا من فكر عميق والسماع الإيحائي وإشراق نوراني ، وعاطفة متحسسة لأخفى المعاني وأخفى المحسوسات فقد اعتمد على عدة أساليب للتعبير عن فكرة منها أسلوب التأمل وكان متأثر بالتوراة والإنجيل فكرا وأسلوبا ، وكانت له فلسفة خاصة استقاها من مصادر متعددة ومن أعماق نفسية من أهم مقوماتها مبادئ التقمص ووحدة الوجود والقوة البناءة للمحبة[2].

فالحب والحرية والتمرد هي العناصر البارزة التي يقوم عليها فلسفة جبران ومذهبه في الحياة وهي التي تكون مضمونة الأدبي وينبثق منها رأيه في الحياة الشرقية وتحقيق له الأهداف التي كانت يسعى إلى تحقيقها ، حيث كانت حياتها غارقة في ألوان من الجمود والعبودية متخلفة عن الركب الحضاري ، ومن أبرز مظاهر الحرية محاربة التخلف الاجتماعي ، ومقاومة كل ما يعوق تحرير الشخصية الإنسانية فقد ظهر في أدبه دعوة إلى احترام الحب وتقديسه فارتفع بالمرأة في أدبه عند الحدود المادية[3].

وهو مذهب تأثر به الشابي كما يتضح ذلك في الفصل الذي نعقده للمرأة في شعره ، والتمرد صفة بارزة في هذه الفلسفة التي كانت تهدف لأن تعيد الإنسان كرامته وتعمل على تحريره من جميع القيود ، لذلك كانت حملة عنيفة موجهة للكهانة ، فيرى جبران أن الكهانة الحرفة الأولى التي ابتدعها الإنسان ويسلط نيران غضبه على رجال الدين وتسري إلى الشابي مثل هذه العقيدة فلا يحجم عن قول : ظل

[1] محمد خليفة التلبسي، الشابي وجبران ، دار الثقافة ، ط2، 1967، ص47.

[2] حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث ، دار الجيل بيروت ، ط1، 1986، ص227.

[3] المرجع السابق، ص49.

ملىء الدهر بالخداع ، فكم ظل الناس من إمام وقّس.

وقد أصيب الشابي كما أصيب جبران بنتائج هذه الثورة ، فاتهم الأول بالخروج عن الدين واتهم الثاني بالتطرف ومحاربة الكنيسة ، وقد كان لذلك أبلغ الأثر في إحساسهما بالغرابة في مجتمع لم يقدر البواعث المخلصة التي كانا يصدران عنها فلم يفهم أغاني نفسيهما ، فكان جبران ينشد في ألم زائد (أنا غريب في هذا العالم) وفي الغربة وحدة قاسية ووحشة موجعة ....وسأبقى غريبا حتى تخطفني المنايا وتحملني إلى وطني[1]"

وكان الشابي أيضا يحس بالغربة في العالم يفهم أناشيده فيقول

إني أنا الروح الذي سيظل في الدنيا غريب.

ويعيش مصطلعا بأحزان الشيبة والمشيبي.

وقد انطوى تمرد هذين الأديبين على معان كثيرة ، أبرزها تقديس الطموح والدعوة ، حتى لينصب جبران من نفسه حفار للقبور ويواري الثرى كل من لا يسير مع العاصفة.

فكان الشابي يؤمن بالطموح إيمانا عميقا ، وكان يبحث في شعبه عن صورة المغاور المقتحم ، المتطلع إلى ما وراء الوجود ، ومنه هنا كانت هتافاته المشهورة :

إذا أراد الشعب يوما أراد الحياة فلابد أ يستجيب القدر.

ولا بد الليل أن ينجي ولا بد للقيد أن ينكسر[2].

حيث كان الشابي من أصدق الناس عاطفة ، ومن أخلصهم شعوراً بالمسؤولية الاجتماعية ، وقد وعى أن بيئته مريضة يسيطر عليها الجهل والفقر ، وتتنازعها السياسات الاستعمارية والقوى المتحررة الرجعية التي تحالف الاستعمار أو تستخدي له ، فراغ يعمل على إيقاظ الضمائر بالمحاضرات ، تأسيس النوادي ونشر الكلمة المسؤولة ، وراح الشابي يعالج مجتمعه ، بقلبه وروحه ويدعوه إلى النهوض في شجاعة وطموح[3].

[1] محمد خليفة التلبسي، الشابي وجبران ، دار الثقافة ، ط2، 1967، ص51.

[2] المرجع نفسه، ص52.

[3] محمد خليفة التلبسي، الشابي وجبران ، دار الثقافة ، ط2، 1967، ص559.

فهو شاعر الشباب والألم ، والشعر عند الشابي هو الشابي نفسه ، هو عقله الفوَّر ، وأعصابه المهتاجة وطبيعته المتدفقة ، وروحه الطيبة في عباب آلامها، وسلسلة انفعالاته في مدها وخيرها ، وهكذا جمع الشابي ما بين البساطة موقف إعجاب وإكبار.

وظل شعر الشابي معرض حافل بأمثال هذه المعاني الثائرة على العيش في ظلال القديم ، الداعية إلى نور المستقبل فهما يتشابهان في مصادر هذه الوطنية فكلا من جبران والشابي انطلقت وطنيته من الاصطدام بالتخلف الاجتماعي المستسلم إلى الجمود[1].

فالمشابهة بينه وبين جبران أعظم من أن توحيها المصادفة أو وقوع الحافر على الحافر ولكنها المشابهة التي تنتجها التلميذة من عكف على دراسة جبران وأدبه ، ومن هنا يبدو لنا خطأ الدكتور أبو شادي الذي كان يعتبر الشابي تلميذ ا من تلاميذ مدرسته الشعرية ، والحق الذي لأمراء فية، أن التجاوب الذي كان بينه وبين الشابي إنما هو تجاوب شكلي لا يتعدى الصياغة اللفظية ، أما التغني بالنور فصفة بارزة أدب جبران وقد سبق بها أبا شادي[2].

أما التشابه في الخصائص الفنية الصفة واضحة في اتفاق الأديبين على تمجيد الفن والسمو به في الأغراض التافهة، ولعل جبران قد ألقى في نفس الشابي مثل هذا التقدير ، فقد كان ثائر على الهبوط بالشعر إلى الاهتمام بالتوافق الاجتماعية ، وهي ثورة قام عليها صرح الأدب المهجري ، الذي اتخذ من الفن رسالة بعث وإحياء ، فصوب نيرانه إلى تقاليد الأدبية ، التي تغنى بالبهرجة اللفظية ، والزخرف البديعي وآمن بأن نصيب الشاعر من النجاح يجدده رصيده الفني ، وملكته الشاعر ، وهذه وحدها خالقة للغة ، حتى ليرى جبران أن قوة الابتكار إنما تكمن في لسان الشعراء المخلصين لأنفسهم وفنهم[3].

وقد امتاز أدب جبران ، بقيامه على الصدق الشعوري ، والانفعال الحاد، الاعتماد على بساطة الأداء ، وقوة الإيحاء ، وهو ذو أسلوب تصويري ، ينتزع صورة ومشاهده من الطبيعة ، وهذه ميزة تفرد بها جبران

[1] المرجع نفسه، ص570.

[2] محمد خليفة التلبسي، الشابي وجبران ، دار الثقافة ، ط2، 1967، ص58.

[3] محمد خليفة التلبسي، الشابي وجبران ، دار الثقافة ، ط2، 1967، ص52.

، وإننا نلمح أثره واضحاً في الشابي الذي زاد من مطالعته ، وعكف على كتبه ، ومن أمثله ذلك في التعابير والصور الجبرانية في شعر الشابي وبعضها أصبح أبياتا[1].

يقول جبران:" من يهوى النور فالنور يهواه"

ويقول الشابي: ومن ناجت أحلامه يباركه النور أنّى ظهر".

ويقول جبران في غربته بين قومه : "ثم التقى برهط الشيوخ ، فيؤمنون نحوي بأصابه وثيقة قائلين : هو مجنون أضاع صوابه في مسارح الجن والغيلان"

وذلك ما قاله سدنة الماضي في الشابي:وهي عبارة جبرانية نظمها في نسق رائع: "قد أضاع الرشاد في ملعب الجن فيا بؤسه أصيب بمسٍّ"[2].

وأثر جبران أثر واضح في كثير من قصائد الشابي، ومن بين القصائد التي تأثر بها الشابي قصيدة " النبي المجهول" فهي بما تحمله من أفكار متمردة ذات صلة بعيدة ، بأدب جبران وطريقة أدائه ، فالشابي قد استوحى بعض مقاطع هذه القصيدة من كلمتين بعنوان" بين ليل وصباح" وخليل الكافر وأن دراستها قد عملت في ذهنه ، حتى أخرجت لنا تلك الصورة ، وتقوم الكلمة الأولى لجبران على سخرية من قومه، والدين تفتنهم المظاهر ويخدمهم البهرج عن الجوهر الصحيح[3].

الشابي فقد تأثر بالأدب المهجري وتأثر بجبران ينوع جانب ، والباحثون في حاجة إلى أن يلفتوا إلى أدب جبران أكثر من أي أديب آخر وهم غنى عن التخبط والتعسف والتعويل على الظن والتخمين .

فالأسلوب النثري متأثر بجبران وأسلوب ه الشعري متأثر بجبران وأفكاره متأثرة بجبران، فالشابي لديه قدرة خارقة على الإيحاء والتأثير على القارئ بحيث يضع أمام بصره تعبير بسيط ، صورة لا نهاية به لروعتها وأسلوبه تصوير تتعانق فيه الصور وتتلاحق في موكب فخم[4].

[1] محمد خليفة التلبسي، الشابي وجبران ، دار الثقافة ، ط2، 1967، ص53.
[2] المرجع نفسه، ص54.
[3] محمد خليفة التلبسي، الشابي وجبران ، دار الثقافة ، ط2، 1967، ص54.
[4] المرجع نفسه، ص58.

أما أثر جبران في تجربة الشابي الشعرية فهم واضح كل الوضوح ، ولن تحتاج إلى كبير عناء في اكتشافه ، ولقد انصرف الشابي إلى أدب جبران الذي عكف عليه يقرأه ويستعيد قراءته في كبار وإعجاب ، بما كان يحفل به من صور خيالية ، وعاطفة رقيقة ، لقد أرضى جبران أكثر من جانب في نفس الشابي ، فقد كان يمثل لديه نموذج الكاتب الرومانسي ونموذج المتمرد لرومانسي ، وأنّ كثير من آراء جبران تطل علينا من خلال شعر جبران ، فلا يؤثر الشاعر إلاّ في الشاعر ، ولا يؤثر إلاّ في الثائر[1].

[1] المرجع نفسه، ص203.

الملاحق

ترجمة أبو القاسم الشابي : (1327-1353هـ/1909-1934م):

أبو القاسم الشابي هو من أبناء القرن العشرين الذين نشئوا فيما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، أيَّام كان العالم العربي يتغير بين حاضره الأليم ، وماضيه القريب المنقوص.

ولد الشابي في مارس 1909 ببلدة الشابية إحدى ضواحي "توزر" الكبرى بلد الجريد بالجنوب التونسي وهي بلدة فاتنة لما حوته من مناظر طبيعية فهي واقعة بين سباتين البرتغال ووسط واحات شاسعة للنخيل.

كان والده من خريجي الزهر ومن مجازيه، وبه درس أولا ، فلقد نشأ أبو القاسم في بداية تكوينه الفكري والخلقي في كنف رعايته الصالحة تقتبس من علمه وآدابه، وأتم حفظ القرآن الكريم ، وهو في التاسعة ، التحق بجامع الزيتونة أثناء قدومه إلى العاصمة 1920م من أجل الدراسة ، تكون سريعا وقال الشعر باكراً ،كوّن لنفسه ثقافة واسعة عربية خالصة جمعت بين التراث العربي في أزهى عصوره وبين روائع الأدب الحديث بمصر والعراق وسوريا والمهجر.

ظهر شعره مجموعاً في المجلد الأول من كتاب "الأدب التونسي في القرن الرابع عشر "وفي سنة 1927 ألقى بنادي قدماء الصادقية محاضرة حول " الخيال الشعري عند العرب"[1].

وفي سنة 1929 نُكب بوفاة والده المحبوب ، وفي سنة نفسها أصيب بداء تضخم القلب ، وهو في الثانية والعشرين من عمره ، على الرغم من نهي الطبيب له لم يقلع عن عمله الفكري وواصل إنتاجه نثراً وشعراً .

[1] عبد المجيد الحر، أبو القاسم الشابي كوكب السحر، ص64.

صفاته:

لا بأس في ذكر صفاته الجسدية إلى جانب الروحية والنفسية والخلقية التي وصفها أقرب الناس إليه، بدءاً بأشقائه، وانتماء بالأدباء والشعراء الدين عاصرهم وعرفوه عن قرب حق المعرفة خَلْقًا وخُلقًا.

نحيف الجسم ، مديد القامة، قوي البديهة، سريع الانفعال، حاد الذهن، يراه أصدقائه بشوشا ، كريما ، وديعاً، طروباً لمجالس الأدب يحب الفكاهة الأدبية[1].

ويراه من يخالطه حبيبا محتشما، ويعرف منه هؤلاء وأولئك صراحة حازمة قوية يبديها لخاصة خلطاته، في غير ما تخرج متى اجتمع بهم، ويجاهرها في شعره ونثره وكان محبا لبلاده الوطنية، يؤمن بأن لقادة الفكر رسالة إنسانية سليمة ، حاول جهده أن يحققها في أثناء حياته القصيرة قولا وعملاً.

كان يتميز بصفة وهي "الشاعر الفنان" في هذه الصفة تتميز له عن غيره من الشعراء الذين يعيشون الحياة بحاسة واحدة أما هو فقد كان يعيشها بجميع حواسه، وتلك صفة لا تتأتى إلاّ لمن كان في مثل حساسيته المرهقة وعاطفته واسعة آفاقه، وصفة الفن بارزة في أغلب ما تناوله هذا الشاعر ، فقد كان يستخدمه في مرقم الموسيقى، وريشه الرسام، وتعبير المشاعر الفعل.

[1] عبد المجيد الحر، المرجع السابق، ص64.

ثقافته:

إنّ الشابي لم يتعلم لغة أجنبية يستطيع من خلالها أن يطلع على الآداب الغربية ، والفكر العربي، بل كانت ثقافته عربية خالصة والفضل كان للترجمات ، فتمكن الشابي من خلال هذه الترجمة أن يطلع على جوانب وآفاق في التجربة الشعرية ممثلة في أشعار الرومانتيكين أمثال : لامارتين ، بيرون، وشيلي، وأن يتعرف على مفهوم الشعر لدى هؤلاء من خلال الكتاب العرب الدين كانوا يقودون حركة التجديد الشعري في الربع الأول من هذا القرن.

اطلع على ما كتبه العقاد من مفهوم الشعر وطبيعة العمل الشعري ووظيفته معتمداً في هذا كله على أصول أخذها الشعراء الرومانتيكيون الغربيون من قبل، وفي هذا الوقت نفسه كان الشعراء العرب في المهجر الأمريكي يؤكدون في أشعارهم ، وفي كتاباتهم نفس الهموم ، كما كان العقاد بأفكاره أثيراً لدى شاعرنا كان جبران بشعره أقرب الناس إلى قلبه، هكذا استعاض الشابي بما طرحة هؤلاء وهؤلاء من مفاهيم عصرية مبدعات أدبية متأثرة في أصولها الرومانتيكية الغربية، عن القراءة المباشرة للرومانتيكية، نظرية وأدباً[1].

وحين نذكر هذه الروافد التي رقدت ثقافة شاعرنا بحصيلة طيبة من الأدب الغربي ، والفكر الأوروبي ، ينبغي أن نذكر بأن الشابي قد تثقف ثقافة عربية واسعة كان فيما يراى فيها من رأي، إنما يصدر عن معرفة كافية بها، ولكنه قد ألم بأطراف مختلفة من الثقافة الأدبية الغربية ، بصورة مباشرة عن طريق الترجمات وبصورة غير مباشرة عن طريق الكتاب والأدباء العرب في مصر وفي المهجر.

[1] أبو القاسم الشابي، الديوان دراسة وتقديم ، عز الدين إسماعيل ، ص12.

وفاته:

في الثانية والعشرين من عمره أصيب الشابي بداء تضخم القلب الذي أثر على صحته تأثيراً سلبياً.

توفي الشابي في فجر يوم التاسع أكتوبر سنة 1934 بالمستشفى الإيطالي، وفي اليوم الموالي نقل جثمانه إلى بلدة الشابية "القرب توزر" حيث يوجد قبره.

آثاره:

على الرغم من السن القصير التي عاشها أبو القاسم الشابي فقد اختطفه الموت وهو في شبابه إلاّ أنه غنّى للإنسانية أروع الأغاني وأعذبها، وقد تمكن ن تحصيل نفسه منذ نعومة أظافره وذلك بفضل جهده العلمي وذكائه وإرادته القوية.فقد أثر شاعرنا المكتبة العربية بمؤلفات عظيمة يمكن تلخيصها فيما يلي:

- أغاني الحياة : وهو مجموع شعره طبع لأول مرة في القاهرة سنة 1955، ثم بتونس سنة 1966، وطبعة أخرى بتونس سنة 1970، وطبع كذلك ببيروت سنة 1972.
- **الخيال الشوري عند العرب:** وهو محاضرة ألقاها الشاعر وطبعها بتونس سنة 1929، ثم أعيد طبعها في تونس 1961[1].
- **رسائل الشابي:** وهي مجموعة من الرسائل بها إلى صديقه محمد الجليوي، وله رسائل أخرى مع أصدقاء آخرين من تونس وسوريا ومصر، وتضم هذه المجموعة 34 رسالة للشابي و40 رسالة للجليوي، و20 رسالة لصديقها محمد البشوش.

ونشرت الرسائل بتقديم أبن القاسم محمد كرو، طبع بتونس 1966.

- **الهامة عن الأدب العربي في العصر الحاضر:** وهي مقدمة كتبها لديوان "الينبوع " لصديقه المرحوم أحمد زكي أبو شادي طبع بالقاهرة 1934[2].

[1] أبو القاسم محمد كرو، دراسات عن الشابي، ص136.

[2] أبو القاسم محمد كرو، دراسات عن الشابي، ص137.

ترجمة جبران خليل جبران :

حداثته:

ولد جبران في السادس من كانون الثّاني سنة 1883م في بلدة بشّري المجاورة لأرز الربّ، والرابطة على كتف الوادي المقدس " قنوبين" والده خليل الكلّف جباية الرسم على الماشية في جرود شمالي لبنان ، امه كاملة ابنة الخوري أسطفان رحمة ، كانت ذات ثقافة محددة ، غير أنّها كانت تتجلى بإرادة وهمة قوتين ساعدتاها على تدبير شؤون المنزل ورعاية أولادها الأربعة بطرس من زوجها الأول وجبران ومريانا وسلطانة ما إن بلغ الخامسة حتى أدخل في مدرسة ديرمار اليشاع القريب من بشّري فتلقى مبادئ القراءة والكتابة وكان مواطنه الطيب سليم الضّاهر يساعده في تعلّمه وفي تنمية موهبة الرّسم ، التي ظهرت فيه.

إلى ذلك كان جبران الصغير يتمتع في انصرافه إلى الطبيعة الخلابة التي تتميز بها المنطقة وظل جمالها منطبعا في نفسه ، وحبّها لا يفارقه ففي إحدى رسائله إلى ابن عمّه نخله يقول أهل يأتي ربيع حياتنا ثانية فتفرح مع الأشجار وتبسم مع الزّهور ونركض وراء السّواقي وتترنم مع العصافير مثلما كنّا نفعل في بشّري هل نرجع ما في هذه الحياة يا نخله هو أنّ أرواحنا تبقى مرفوقة فوق الأماكن التي تشعنا فيها من شدة اللذة[1].

[1] ران خليل جبران، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، جمع وتقديم أنطوان القوال ، دار الجيل بيروت ط1414هـ/1994،ص11.

شخصيته:

جبران خليل جبران هو رجل الطّبيعة الفنّية التي توتّرت أعصابها ، ورقت ملامسها ودقت مناطق حساسيتها فكانت عالما مزيجا من فكر عميق والسماع الإيحائي وإشراق نوراني، وعاطفة متحسسة لأخفى المعاني وأخفى المحسوسات وهو رجل الانفرادية والاجتماعية التي تردد أن تنمي الفرد بغذاء المجتمع الإنساني، وتريد أن تنمّي المجتمع بغذاء الانفرادية ، ووصفته بربارة يوتغ في كتابها النفيس " جبران خليل جبران، رجل من لبنان كما تبنا وصفا تقتطف منه بعض الفقرات قالت" إن جبران خليل جبران هو إحدى التفاتات القدرة الكلية التي لا تحصى لها عديد وكانت تتجلى في صوته وشخصه وقالت واصفة مقدرته العقلية " بعضهم يعرف جبران الذي يملك تألق عقل لا حدود لامتداد وعمقه ويعرفون المفكر الذي قطع السنين حتى وصل إلى أعماق علم منظم والوجل كان يستطيع أن يملي على ثلاثة أمناء سّر في نفس الوقت وفي لغات ثلاث العربية والإنجليزية والفرنسية[1].

أدبه:

حياة جبران مرحلتان ما بين 1905و1918 وهي مرحلة التي كتب فيها باللغة العربية دون سواها وكان له فيها خمسة كتب هي الموسيقى 1905 وعرائس المروج 1906 والأجنحة المتكسرة 1912، إلخ أما لكتب العربية الثلاثة التي ظهرت لجبران في المرحلة الثانية فهي "المواكب " ومجوعتان من المقالات التي كان ينشرها في الصحف.

واعتمد جبران عدّة أساليب للتعبير عن فكرة منها أسلوب القصص القصير وأسلوب المثل ، وأسلوب التأمُل ، وكان في كل ما كتب متأثراً بالثورة والإنجيل فكراً وأسلوباً وكانت له فلسفة خاصة ستقاها من مصادر متعددة ومن أعماق نفسية من أهم مقوماتها مبادئ التقمص ، ووحدة الوجود والقوة البناءة للمحبّة[2].

[1] الجامع في التاريخ للأدب العربي الحديث ، حنا الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت، ط1، 1986، ص225.
[2] المرجع نفسه، ص226.

الفلسفة الجبرانية:

"تطور جبران خليل جبران في تفكيره تطوراً شديداً ، ولم تتبلور فكرته إلاّ بعض مخاض طويل، فقد انطلق من لبنان يحمل ثقافة غير واسعة ، وعقيدة مسيحية انتقلت إليه من ذويه بيئته، واجه في أمريكا الشمالية ما واجهه أكثر المهجريين من احتكاك بحرية فكرية واسعة ، وتيارات إيديولوجية متباينة ، ومن انفتاح على ما ينشر ويتداول ، وما تصل أصداؤه وترجماته من أوربا، وما ذهبت فيه الشيع البروستاتية مذاهب تحررية شتى ، فكان من ذلك كله أن نزع المهجريون الشماليون منزعاً فلسفيا تداولون في رابطتهم القلمية ، وراحوا بها لجون حقيقة الحياة وعالم الروح"[1].

وجد جبران التبوصوفية غذاء لنزعته لصوفية ودعما لرسالته الإصلاحية ومنطلقا لعمله الاجتماعي، وقد سلك جبران في فلسفته طريق النمو التطور، فكانت مرحلته الأولى مرحلة الرومانسية المتأملة التي تنصر للدين من مفسديه ، وللمجتمع والحياة من الذئاب البشرية والظالمين، وكانت مرحلته الثانية مرحلة القوة والتمرد والثورة على التقاليد والعادات ، والامتداد في الطموح الإنساني إلى التحرر المطلق ، وفي غمرة هذا التطور تعمل الرؤى التيبوصوفية عملها ، فنصب الأفكار الجبرانية في حلولية تخرج الرجل من أزمنة النيتشوية ، بل نذيبها في اشراقية توحد ما بين الله والكون ، وتجعل من المحبة جاذبية كونية، ونظاما شاملاً يقوم مقام أنظمة البشر المصعنة[2].

والنفس في فلسفة جبران خليل جبران عنصر روحاني لا نراه يتعمق في دراسة جوهره فيكتفي بمعالجته معالجة تيبوصوفية مزيج من عقيدة مسيحية ونظرية أفلاطونية وتأمل جبراني.

[1] الجامع في التاريخ للأدب العربي الحديث ، حنا الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت، ط1، 1986، ص237.
[2] المرجع نفسه، ص239.

الأسلوب الجبراني:

1. **اللون القصصي:** لم يُعد جبران لأن يكون قصاصا بكل ما في الكلمة من معنى فقصصه تسطر عليه طبيعة الفنان الوجداني المرهف الحس والشعور على حد قول نعيمة – طبيعة المرشد والمصلح والواعظ، ولهذا لم يهتم جبران للعقيدة السرد والسياق بقدر ما اهتم للمغزى ولبث الشعور ، وتركيب الصور واختراعات الخيال الخلاق الساحر، فقد رمى في قصصه إلى النقد المتهكم ، وقد مزج أقاصيصه بآرائه الاجتماعية وجعلها مركبا لانطلاق خياله وتلوينات فئة وملأها بالعناصر المؤلمة من الحياة التي كنظره دائم الامتداد إليها رغبة في تفجير شعوره على قلوب المتألمين[1].

2. **الأسلوب الكتابي:**

كان جبران فيلسوفا في بُرد شاعر ، سكب أفكاره في قالب جبراني خاص يقوم على التلوين والتقطيع الموسيقي والابتكار البديعي والانطلاق الذي ينطلق بالصور الجديدة التي لا يحلم بها غير جبران ويعمد جبران إلى الرمزية في كتاباته، تلك الرمزية الرومنطقية التي تصوغ من العاطفة والخيال والموسيقى سلم جمال يصعد فيها القارئ لتصيّد الأفكار والتمتع برؤى الإيحاء من وراء أجواء لا تخلو من الضباب ، ولكل شيء في كتابة جبران أنه "عاشق للقطة المفردة ، والعبارة المركبة.

لقد قيل عن جبران أنه "عاش في حضن الأمواج والدموع والأحلام ، يهجر هذا العالم بقلق وجودي عميق كأنما هو في غربة عن ذاته ، يفتش عن إنقاذ الإنسان في مجابهة أيديه لأعداء الإنسان الكامنة في أغوار نفس الإنسان ذاته، كان جبران ابن المحبة والجمال فعمل كنبي على صقل الوجود الإنساني ونزع الزيف منه[2].

[1] الجامع في التاريخ للأدب العربي الحديث ، حنا الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت، ط1، 1986، ص240.
[2] المرجع نفسه، ص241.

وفاته:

أخذت منه العلة يوماَ بعد يوم ، يمكنها من صحته وقوته استمراره في العطاء دون ملل أو كلل حتى انطفأ سراج حياته في العاشر من نيسان سنة 1931م آب من الستة نفسها نقل رفاته إلى بشرى مسقط رأسه ليرقد بسلام في دير مارسركيس، المكان الذي يحلم بالعودة إليه ، وبعد وفاته صدر" التائه 1932وحديقة النبي (1932م) وكلاهما بالإنجليزية ، وبقي الكثير من آثاره ينتظر الكشف والجمع والصدور لا يزال جبران بعد رحيله ، يشغل الناس بأدبه وفنه كما كان يشغلهم في حضوره ، فالآداب العربية، لم تعرف حتى الآن أدبياً ،كان له الأثر الذي لجبران ، إذ أنه فاصل تاريخي[1].

مؤلفاته:

* **الموسيقى:** كتيب وضعه جبران في صباه ثم نشره سنة 1905 في نيويورك وطواه على تأملان في الموسيقى وطاقاته التعبيرية والتأثيرية.
* **عرائس المروج:** كتاب ظهر سنة 1906 وانطوى على ثلاث قصص : "رماد الأجيال والنار الخالدة " ، مرتا البانيَّة ويوحنا المجنون.
* **الأرواح المتمردة:** كتاب ظهر سنة 1908، وانطوى على "أرواح تمردت على التقاليد والشرائع القاسية التي تعدُّ من حرية الفكر والقلب.
* **الأجنحة المتكسرة:** كتاب ظهر سنة 1912، وانطوى على قصة جبران في حبه الأول وكيف حالت تقاليد وسلطة رجال الدين دون افتراق الحبيبين.
* **دمعة وابتسامة:** كتاب ظهر سنة 1914، وفيه مقالات انطوى على مواعظ في المحبة التي تشد الألوان بعضها ببعض، وفي آلوهية الإنسان.

[1] ران خليل جبران، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، جمع وتقديم أنطوان القوال ، دار الجيل بيروت ط1414هـ/1994،ص11.

* **المواكب**:قصيدة طويلة ظهرت سنة 1919م وفيها نظرات فلسفية في أهم شؤون الحياة البشرية كالخير والشر والحق والعدل وما في ذلك[1].

[1] الجامع في التاريخ للأدب العربي الحديث ، حنا الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت، ط1، 1986، ص228-229.

خاتمة:

قد توصلنا في الأخير من خلال بحثنا هذا أن هذه النزعة الدور الفعال في الكشف عن حقائق الأشياء وخلفياتها، وقد تلخصت استنتاجاتنا فيما يلي:

أن هناك مبادئ انطلق منها الأديب المهجري وهي نزعات نفسية مخصصة بالشاعر يعبر فيها عن خياله الحسي وصوره مأخوذة من عالم الواقع.

وأن هناك جملة من العوامل والأسباب التي جعلت الشاعر المهجري ينظر إلى الهجرة على أنها الحل الأنسب خصوصا أبناء سوريا ولبنان وقت انعدم فيه الأمن من جهة وانعدام العيش الرغيد من جهة أخرى.

فانعدمت الحلول لديهم وإن صح القول الهروب من الوطن إلى عالم جديد، كانوا لمنون أنهم سيجدون فيه كل أسباب الأمان والحياة المشرقة الهنيئة، وقد كان لنزعة التأملية دور فعال في الكشف عن حقائق الأشياء وخلفياتها.

فالنزعة التأملية لدى جبران هي عبارة عن مناجاة عاطفية تتولد في الخطاب يندمج فيها الشاعر مع الموضوعات الخارجية ليضفي عليها ما تراه نفسه.

وقد أثرت هذه النزعة في الصناعة الفنية لدى "جبران" فجاء أسلوبه جديد يرمي إلى الخروج بمضامين الأدب من قيود القديم إلى الطلاقة والحرية في التعبير مستعملا أساليب متنوعة منها ما هو خيالي عاطفي ومنها ما هو واقعي.

التأمل هو حالة من الغيبوبة الفكرية والاستشراق الذهني، وهو النظر في المعتقدات بطريقة فعالة وثابتة ومتأنية هو شكل من أشكال المعرفة.

التأمل هو المنهج الذي اتخذه الأدب المهجري وحلق في آفاقه فقد أطال المهجريون ي النظر في ذواتهم وما حولهم من الكائنات.

يتأمل الشابي في الطبيعة تأملا عميقا تصل به إلى درجة الغناء في جمالها الأخاذ وندرك أن شعوره بها لم يكن بسيطا ولكنه كان شعورا عميقا.

يعد الشابي من أصدق الناس عاطفة ومن أخلصهم شعورا بالمسؤولية الاجتماعية وراح يعالج مجتمعه بقلبه وروحه.

إن الأثر العميق الذي طبع به جبران الشابي، توضح أنه كان من أخلص تلامذته وأنبغهم.

ويظل الشاعران "أبو القاسم الشابي" و"جبران خليل جبران" من أهم شعراء المهرج الذي أثروا في الحياة الشعرية والأدبية بالعديد من الأعمال التي تزخر بها المكتبة العربية.

وهكذا كانت النزعة الوسيلة للقرار من عالمنا الواقعي إلى العالم المطلق.

نرجو أن يكون لهذا الموضوع الاهتمام البالغ، وأن يكون نقطة بداية لدراسات أخرى.

قائمة المصادر والمراجع:

أبو القاسم الشابي، ديوان أغاني الحياة.

الأدب العربي في المهجر، محمد عبد الغني حسن.

إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة.

أنيس الخوري المقدمي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، بيروت، ط02، 1960.

التفسير النفسي للأدب، د. عز الدين إسماعيل.

جون ديوي، أكرم صالح، محمود خوالدة، التقويم اللغوي في الكتابة والتعلم، دار مكتبة الحامد، عمان.

حسن الجاد، الأدب العربي في المهجر.

حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب الحديث، دار الجيل بيروت، ط02، 1986.

د. عبد القادر القط، الاتجاه في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، 1988.

د. محمد مصطفى هدارة، التجديد في شعر المهجر.

د.نظمي عبد البديع محمد، أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب، دار الفكر العربي.

ديوان همس الجفون، ميخائيل نعيمة.

الشعر العربي في المهجر، تصدير عزيز أباضا.

شفيق المعلوق، نداء المجاديف.

شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي الحديث، دار المعارف، مصر، ط1.

عبد الباسط محمود، دراسة في لغة الشعر عند إيليا أبو ماضي.

عبد الدايم، أدب المهجر.

عبد المنعم الخفاجي، قصة الأدب الهجري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ط، 1980.

عدنان حسين، قاسم الاتجاه الأسلوبي.

عيسى الناعوري، إيليا أبو ماضي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، مارس 1958، ط2، 1977.

فؤاد القرقوري، أهم مظاهر الرومنطيقية في الأدب العربي الحديث وأهم المؤثرات الأجنبية فيه، دار العربية للكتاب.

قريش بن علي، موضوعات الشعر الحديث، الشادي أنموذجا، 2002/2001.

لطيف زيتوني، أدباء المهجر وأزمة الانشطار الروحي.

مجلة الأديب، الطور الشامخ، لزكي قنصل.

مجلة القسم العربي، العدد 16، 2009.

محمد التونجي، معجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

محمد خليفة التلسي، الشابي وجبران، دار الثقافة، ط2، 1967.

محمد نجم الندوي، جبران في ضوء مؤلفاته العربية.

مسعد العطوي، الأدب العربي الحديث.

مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب العربي الحديث، الدار الدولية، المستثمرات الثقافية، القاهرة، مصر.

نبيل كرامة، جبران خليل جبران وأثره في الأدب العربي دراسة نقد تحليل نصوص، ط2، منشورات: دار الرابطة الثقافية.

النثر المهجري، عبد الكريم الأسقر.

يوسف خاوري، الشعر الحديث في المغرب العربي.

يوسف عز الدين، التجديد في الشعر المهجري، دار المدى للطباعة والنشر، ط1، 1986، ط2، 2007.

فهرس المحتويات

إهداء	
كلمة شكر وتقدير	
مقدمة.....	ب
مدخل.....	1
الفصل الأول:الشعر المهجري.....	8
المبحث الأول:الشعر المهجري المفهوم والنشأة.....	9
المطلب الأول: مفهوم الشعر المهجري.....	9
المطلب الثاني: نشأة الشعر المهجري.....	14
المبحث الثاني: أهم رواد الشعر المهجري وخصائصه.....	18
المطلب الأول: واقع شعراء المهجر.....	18
المطلب الثاني: خصائص الشعر المهجري.....	25
1. خصائص الشعر المهجري من حيث المضمون.....	25
أ. النزعة التأملية الفكرية العميقة.....	25
ب.النزعة الإنسانية.....	26
ج. النزعة الصوفية.....	27
الجنين إلى الوطن والشعور بالحزن.....	28
2. خصائص الشعر المهجري من ناحية الشكل.....	29
أ. الرمز.....	29
ب. الوزن والقافية.....	29
ج. السهولة والوضوح في اللغة.....	30
التعبير عن التجربة شعورية ذاتية.....	31
الوحدة العضوية.....	31
المبحث الثالث:أهم مدارس الشعر المهجري.....	32
المطلب الأول: مدرسة الرابطة القلمية.....	32

المطلب الثاني: مدرسة العصبة الأندلسية.....	35
الفصل الثاني: النزعة التأملية عند جبران والشابي دراسة مقارنة	40
المبحث الأول: النزعة التأملية.....	41
المطلب الأول: مفهوم التفكير التأملي.....	42
المطلب الثاني: المدلول اللغوي والاصطلاحي للتأمل.....	43
المبحث الثاني: النزعة التأملية عند جبران والشابي.....	60-64
الملاحق:	65-75
خاتمة:	76-78
قائمة المصادر والمراجع:	79-82
فهرس المحتويات:	83-85